جامعة جنوب الوادي بقنا

قسم الصحة النفسية

كلية التربية

موضوع البحث :

أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم

كمنهج تربوي

الباحث

ايمن محمود محمد عبدالفتاح

دبلوم خاص في التربية

٢٠٠٨م

الإطار العام للبحث

موضوع البحث :

أخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم

كمنهج تربوي

☆ المقدمة – والإطار العام للبحث

١ – الفصل الأول : نظام الأخلاق في الإسلام

* تعريف الأخلاق

* أهمية الأخلاق

* مكانة الأخلاق في الإسلام

* خصائص الأخلاق في الإسلام

٢ – الفصل الثاني : أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم

* الأخلاق في قول النبي صلى الله عليه وسلم

* الأخلاق في فعل النبي صلى الله عليه وسلم

* خصال الأخلاق النبوية

* الترابط بين الأخلاق والإيمان

٣ – الفصل الثالث : المضامين التربوية في السنة النبوية:

* معالم في المنهج التربوي النبوي

* اتجاهات تربوية من المنهج النبوي

* المنهج النبوي التربوي منهج متكامل

٣ – الفصل الرابع: علاقة التربية بتحقيق واكتساب الأخلاق

* وسائل اكتساب الأخلاق

* وسائل تقويم الأخلاق

خاتمة البحث

المصادر

المقدمة

الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مبارك فيه كما يجب ربنا ويرضى، نحمده سبحانه ولا نحصى ثناء عليه أرسل نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله فارتضى له الإسلام ديناً، وجعل القرآن له خلقاً، آمن عليه بالصفات الفاضلة، ثم أثنى عليه قائلاً: (وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ). ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الخلق والأمر وبيده الخير وهو على كل شيء قدير، يعطي من يشاء بفضله ويمنع من يشاء بعدله، قسم بينهم أخلاقهم كما قسم بينهم أرزاقهم فجعل نصيب المصطفى صلى الله عليه وسلم من الرزق كفافاً ومن الأخلاق أكملها وأحسنها وأوفاهها، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم . ونشهد أن محمداً عبده ورسوله وخليته وخيرته من خلقه بعثه الله إلى أهل المعمورة ليجدد به صلة السماء بالأرض، فأنزل عليه الكتاب مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه، ختم به الرسل وختم بكتابه الكتب وجعله معجزته الخالدة، فهدى الناس به إلى الصراط المستقيم .

وبعد

عندما طغت الماديات في هذا العصر وتأثر بها كل شيء حتى تناسى الأفراد طبيعتهم البشرية واتجهوا كل الاتجاه نحو الحياة وما بها من تكاليف فخشيت ان ينطراً هذا المعنى والإحساس حتى يجتاز إلى ان يصل ذلك الشعور المؤسف الى المعلم ؛ فيتناسى ما عليه من واجبات أخلاقية ومهنية وأكاديمية ويقتصر فقط على مجرد توصيل المعلومة للطالب اختصاراً للوقت ودون تحمل أي مسئولية أخلاقية أو توجيهية، فأردت ان أضع أمامه النموذج الأمثل للمعلم الأول النبي - صلى الله عليه وسلم - ليكون مثله الأول وقدوته في مجال عمله .

مراعياً لأهمية البحث والتي تتمثل في كونه محاوله لإصلاح حال المعلمين وتخفيفهم بغير نموذج ومعلم لكي يقتدى به ، وفي ذلك ما لا يخفى من أهميه كبرى تتمثل في إصلاح التعليم عامة .

راجيا من الله تعالى ان يوفقني في ذلك

يحيى محمود الكاتب

الفصل الأول

نظام الأخلاق في الإسلام

١- تعريف الأخلاق

- الخلق في اللغة الطبع والسجية، وفي اصطلاح العلماء، كما يعرفه الغزالي - عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية .
(إحياء علوم الدين للغزالي ، ج ٣ : ٤٦)
ويمكننا تعريف الأخلاق بأنها " مجموعة من المعاني والصفات المستقرة في النفس وفي ضوئها وميزانها يحسن الفعل في نظر الإنسان أو يقبح، ومن ثم يقدم عليه أو يحجم عنه " .
كما يمكننا التعرف على الأصل اللغوي للخلق، والمعنى الاصطلاحي
أولاً : المعنى اللغوي للخلق :

تأتي مادة (خَلَقَ) في اللغة العربية بعدة معاني ، هي :

التقدير والإبداع : ومنه قوله { خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ } (العنكبوت : ٤٤)

الكذب : ومنه قوله { وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ } (العنكبوت : ١٧)

البالي : ومنه قولهم : ثوب خَلِقٌ ؛ أي بال .

السجية والطبيعة : ومنه قوله { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } (القلم : ٤)

وخصَّ الخلق -بفتح الخاء- بالهيات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخصَّ الخلق -بضم الخاء- بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة .

ثانياً : كلمة [خُلُقٌ] في القرآن :

وردت كلمة خُلُقٌ في القرآن مرتين :

في قوله تعالى { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ }

وفي قوله تعالى { قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنَّ هَذَا إِلاَّ خُلُقُ الْأَوَّلِينَ }

(الشعراء: ١٣٦-١٣٧)

ثالثاً : المعنى الاصطلاحي للخلق :

عرّفه علماء السلوك بعدة تعريفات ، والتعريف المختار هو :

صفة نفسية مستقرة ، ذات آثار في السلوك محمودة أو مذمومة

٢ - أهمية الأخلاق

للأخلاق أهمية بالغة لما لها من تأثير كبير في سلوك الإنسان وما يصدر عنه، بل نستطيع أن نقول: إن سلوك الإنسان موافق لما هو مستقر في نفسه من معان وصفات، وما أصدق كلمة الإمام الغزالي إذ يقول في إحيائه "فإن كل صفة تظهر في القلب يظهر أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك الا على وفقها لا محالة" فافعال الإنسان، إذن موصولة دائماً بما في

نفسه من معان وصفات ، صلة فروع الشجرة بأصولها المغيبة في التراب. ومعنى ذلك أن صلاح أفعال الإنسان بصلاح أخلاقه، لأن الفرع بأصله، إذا صلح الأصل صلح الفرع، وإذا فسد الأصل فسد الفرع ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً﴾ [الأعراف: ٥٨]. ولهذا كان النهج السديد في إصلاح الناس وتقويم سلوكهم وتيسير سبل الحياة الطيبة لهم أن يبدأ المصلحون بإصلاح النفوس وتركيتها وغرس معاني الأخلاق الجيدة فيها ولهذا أكد الإسلام على صلاح النفوس وبين أن تغيير أحوال الناس من سعادة وشقاء ويسر وعسر، ورخاء وضيق، وطمأنينة وقلق، وعزّ وذل كل ذلك ونحوه تبع لتغيير ما بأنفسهم من معان وصفات، قال تعالى: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

وتظهر أهمية الأخلاق أيضاً من ناحية أخرى، ذلك أن الإنسان قبل أن يفعل شيئاً أو يتركه يقوم بعملية وزن وتقييم لتركه أو فعله في ضوء معاني الأخلاق المستقرة في نفسه فإذا ظهر الفعل أو الترك مرضياً مقبولاً انبعث في النفس رغبة فيه واتجاه إليه ثم إقدام عليه، وإن كان الأمر خلاف ذلك انكشفت النفس عنه وكرهته وأحجمت عنه تركا كان أو فعلا. إن عملية الوزن هذه قد تكون سريعة جداً وغير محسوس بها إلى درجة أن الإنسان قد يفعل الشيء أو يتركه بدون روية أو تفكير، وفي بعض الأحيان لا تتم عملية الوزن والتقييم إلا بعد تأمل ومضي وقت طويل، وقد لا تتم هذه العملية فيقع الإنسان في التردد بين الفعل والترك. ولكن في جميع الأحوال لا بدّ من عملية الوزن والتقييم لكل فعل أو ترك بلا استثناء؛ أو وزن الأفعال والتروك بميزان الأخلاق، وصحة هذا الوزن أو فساده، ومدى التزام الإنسان بمقتضاه، وتنفيذه له، كل ذلك يتوقف على نوع المعاني الأخلاقية التي يحملها من حيث جودتها أو ردايتها، ومدى رسوخها في نفسه وانصباغها بها وحماسه لها وغيرته عليها وشعوره بضرورتها إليه، فلا يكفي لظهور أثر الأخلاق في فعل الإنسان وتركه أن يعرف الإنسان الجيد والرديء من الأخلاق ويخزن هذه المعرفة في رأسه ويتكلم بها في المناسبات بل لا بد من انصباغ كيانه بها ورسوخها في أعماق نفسه بحيث تصير له كاللون الأسود والأبيض بالنسبة للبشرة السوداء أو البيضاء، وأن تكون حاضرة في ذهنه مسيطرة على سلوكه متحمساً لها غيوراً عليها إلى درجة الإيمان بأن الحياة لا تصلح عوضاً للتفريط بمعنى من معاني الأخلاق الفاضلة الإسلامية التي يحملها... ومن أجل هذا أكد الإسلام على معاني الأخلاق المطلوبة وشوق إليها، وحث النفوس عليها، وكررها وأعادها حتى يتذكرها المسلم دائماً وينصبغ بها، فيكون أثرها واضحاً في سلوكه..

٣- مكانة الأخلاق في الإسلام

للأخلاق في الإسلام مكانة عظيمة جداً، تظهر من وجوه كثيرة، نذكر منها ما يأتي:
أولاً: تعليل الرسالة بتقويم الأخلاق وإشاعة مكارم الأخلاق، جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق".

ثانياً: تعريف الدين بحسن الخلق فقد جاء في حديث مرسل أن رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله: ما الدين؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: "حسن الخلق".

وهذا يعني أن حسن الخلق ركن الإسلام العظيم الذي لا قيام للدين بدونه، كالوقوف في عرفات بالنسبة للحج، فقد جاء في الحديث الشريف "الحج عرفة" أي أن ركن الحج العظيم الذي لا يكون الحج إلا به الوقوف في عرفات.

ثالثاً: من أكثر ما يرجح كفة الحسنات يوم الحساب حسن الخلق، جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم "أثقل ما يوضع في الميزان يوم القيامة تقوى الله وحسن الخلق".

رابعاً: المؤمنون يتفاضلون في الايمان، وأفضلهم فيه أحسنهم أخلاقاً، جاء في الحديث: قيل يا رسول الله أي المؤمنين أفضل ايماناً؟ قال: "أحسنهم خلقاً".

خامساً: ان المؤمنين يتفاوتون في الظفر بحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقربهم منه يوم القيامة، وأكثر المسلمين ظفراً بحب رسول الله والقرب منه اولئك المؤمنون الذين حسنت اخلاقهم حتى صاروا فيها أحسن من غيرهم جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم "أن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً".

سادساً: ان حسن الخلق أمر لازم وشرط لا بد منه للنجاة من النار والفوز بالجنان، وان التفريط بهذا الشرط لا يغني عنه حتى الصلاة والصيام، جاء في الحديث أن بعض المسلمين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن فلانة تصوم النهار وتقومن الليل وهي سيئة الخلق تؤذي جيرانها بلساتها، قال: لا خير فيها هي من أهل النار".

سابعاً: ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ربه بأن يحسن خلقه - وهو ذو الأخلاق الحسنة - وأن يهديه لأحسنها، فقد كان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه "اللهم حسنت خلقي فحسن خلقي" ويقول: "اللهم اهدني لأحسن الأخلاق فانه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها فانه لا يصرف عني سيئها إلا أنت" ومعلوم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يدعو إلا بما يحبه الله ويقربه منه.

ثامناً: مدح الله تعالى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق، فقد جاء في القرآن الكريم ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خَلْقٍ عَظِيمٍ﴾ والله تعالى لا يمدح رسوله الا بالشيء العظيم مما يدل على عظيم منزلة الأخلاق في الإسلام.

تاسعاً: كثرة الآيات القرآنية المتعلقة بموضوع الأخلاق، أمراً بالجميل منها، ومدحاً للمتصفين به، ومع المدح الثواب، ونهياً عن الرديء منها وذم المتصفين به، ومع الذم العقاب، ولا شك

أن كثرة الآيات في موضوع الأخلاق، يدل على أهميتها، ومما يزيد في هذه الأهمية أن هذه الآيات منها ما نزل في مكة قبل الهجرة، ومنها ما نزل في المدينة بعد الهجرة، مما يدل على أن الأخلاق أمر مهم جداً لا يستغني عنه المسلم وإن مراعاة الأخلاق تلزم المسلم في جميع الأحوال فهي تشبه أمور العقيدة من جهة عناية القرآن بها في سورة المكية والمدنية على حد سواء.

٤ - خصائص الأخلاق في الإسلام

يتميز نظام الأخلاق في الإسلام بجملة خصائص، منها، تفصيل الأخلاق، وشمولها، ولزومها في الوسيلة والغاية، وارتباطها بمعاني الإيمان والتقوى، ووقوع الجزاء فيها ونبين فيما يلي هذه الخصائص بإيجاز:

التعميم والتفصيل في الأخلاق

دعا الإسلام إلى الأخلاق الكريمة دعوة عامة، من ذلك ما جاء في القرآن الكريم: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن، إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾ والقول بما هو أحسن دعوة عامة للقول الطيب المطلوب بجميع أنواعه في مخاطباتهم ومحاوراتهم. وفي قوله تعالى: ﴿... وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾ دعوة عامة للابتعاد عن رذائل الأخلاق. وفي السنة النبوية من هذه الدعوة العامة إلى الأخلاق الشيء الكثير، ومن ذلك: "اتق الله حيثما كنت واتبع السنة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" والخلق الحسن يجمع أنواع الأخلاق الحسنة. وفي الحديث "إن العبد ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم".

ولم يكتف الإسلام بالدعوة العامة إلى التحلي بالأخلاق الجيدة والتخلي عن الأخلاق الرديئة وإنما فصل القول في الصنفين فبين أنواع كل صنف، والحكمة في هذا البيان المفصل توضيح معاني الأخلاق تحديدها لئلا يختلف الناس فيها وتتدخل الأهواء في تحديد المراد منها، ومن مظاهر رحمة الله بعباده أن بين لهم ما يتقون وما يأخذون وما يتركون، ونذكر فيما يلي أمثلة على تفصيل الأخلاق في القرآن والسنة النبوية المطهرة.

أمثلة من القرآن على تفصيل الأخلاق

(أ) الوفاء بالعهد: ﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً﴾.

(ب) النهي عن القول بلا علم ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾.

(ج) النهي عن مشية التبخر والتمايل كما يفعل المتكبرون، ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾.

(د) النهي عن الإسراف والتبذير والبخل والتقتير ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً﴾. إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفوراً ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً﴾.

(هـ) الأمر بالعدل في جميع الأحوال وبالنسبة لجميع الناس حتى الكفار ﴿وإذا قاتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى﴾. ﴿ولا يجرمكم شأن قوم على أن لا تعدلوا. اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾.

(و) التعاون على البر والتقوى وما ينفع الناس، والنهي عن التعاون على البغي والعدوان ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان﴾.

(ز) الظلم ظلمات يوم القيامة، وعاقبته وخيمة، وهو أنواع، أقبحها افتراء الكذب على الله، وتعدي حدود الله. والظالم مقطوع الصلة بالله فهو مخذول غير منصور، ومن أجل هذا نهى الإسلام عنه ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح الظالمون﴾ ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها، ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ ﴿وما للظالمين من أنصار﴾.

(ح) الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فلا بد للمؤمن من صبر على طاعة الله وصبر على قضاء الله وبهذا يكون من المحسنين، ورحمة الله قريب من المحسنين، ولهذا أمر الإسلام بالصبر ﴿يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾. ﴿واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين﴾. ﴿فاصبر إن وعد الله حق ولا يستخفك الذين لا يوقنون﴾.

(ط) الصدق من علامات الإيمان وثمراته، ولهذا أمر الإسلام به ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾. ﴿وقل ربي أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً﴾.

(ي) الكذب رذيلة لا ينال صاحبها هداية الله، ويثمر النفاق في القلب ولهذا نهى الإسلام عنه وحذر منه ﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب﴾. ﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾.

(ك) التكبر والعجب والبخل والفخر والرياء رذائل وأمراض تصيب القلب فتطمسه وتمحق نوره وتبعد صاحبها عن الله تعالى، ولهذا جاء النهي عنها ﴿ولا تصع خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور﴾. ﴿إن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً﴾. الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله واعتدنا

للكافرين عذاباً مهيناً. والذين ينفقون أموالهم رياء الناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴿١٠﴾.

(ل) الاعتدال في المشي بين البطيء والاسراع مطلوب من المسلم، وخفض الصوت وعدم رفعه بلا حاجة مطلوب أيضا من المسلم، ﴿واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الاصوات لصوت الحمير﴾.

(م) الثبات على الحق والدوام على الطاعة والعبادة، أمور مطلوبة لأن الأمور بخواتيمها، وبدون الاستقامة والدوام والثبات على الحق تفوت الثمرة ولا يصل المسلم الى الغاية، وينقطع عن ركب الصالحين. ومن أجل هذا وجب على المسلم أن يكون على قدر كبير من الثبات على معاني الايمان والاستقامة عليها لينال الفوز والرضوان ﴿ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون...﴾.

(ن) الجنة درا الطيبين، اعداها الله للمتقين الذين من اخلاقهم الحسنة الاتفاق في جميع الأحوال في اليسر والعسر فينفقون بقدر ما لهم ولا يبخلون عن الاتفاق ولو كان قليلاً، ومن أخلاقهم أنهم لا يستوفون كل حقوقهم من الناس بل يتركون منها لهم احساناً عليهم ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والطاغمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾.

(س) النهي عن الغل والحدق: ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخوانتنا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

(ع) علاج الجاهل الإعراض عنه وتركه وشأنه، وبهذا أمر الاسلام ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾.

(ف) ومن وصايا الإسلام الجامعة لعباده المؤمنين، في باب الأخلاق قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنازروا بالألقاب بنس الاسم الفسوق بعد الايمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون. يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن اثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم﴾.

(ص) ومن الآيات التي جمعت كثيراً من أخلاق المؤمنين، وجعلت هذه الأخلاق علامة على ايمانهم قوله تعالى: ﴿قد افلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون. والذين عم عن اللغو معرضون. والذين هم للزكاة فاعلون. والذين هم لفروجهم حافظون. إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم على صلواتهم يحافظون. أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾. وكذلك قوله تعالى: ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً. والذين يبببتون لربهم سجداً وقياماً. والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب

جهنم إن عذابها كان غراماً. إنها ساءت مستقراً ومقاماً. والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواماً. والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاماً ، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيماً. ومن تاب وعمل صالحاً فإنه يتوب إلى الله متاباً. والذين لا يشهدون الزور ، وإذا مروا باللغو مروا كراماً ، والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً. والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين واجعلنا للمتقين إماماً ، أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويلقون فيها تحية وسلاماً. خالدين فيها حسنت مستقراً ومقاماً.

أمثلة من السنة النبوية على تفصيل الأخلاق

- (أ) في النهي عن الغضب، ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني قال: "لا تغضب".
- (ب) وفي الحياء، وردت أحاديث كثيرة منها: "الحياء لا يأتي الا بخير" "الحياء خير كله" "ان لكل دين خلقا وخلق الإسلام الحياء" "اذا لم تستح فاصنع ما شئت".
- (ج) في التعاون، "والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه".
- (د) في حقوق المسلم، والنهي عن بعض الأخلاق: "لا تحاسدوا ولا تناجشوا ولا تباغضوا ولا تدابروا ولا يبيع بعضكم على بيع بعض. وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره، التقوى هاهنا - ويشير إلى صدره الشريف ثلاث مرات - بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه".
- (هـ) النهي عن أخلاق المنافقين "آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان" "أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر".
- (و) في الحلم والائاة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشج عبد القيس "ان فيك خصلتين يجبهما الله ورسوله الحلم والائاة".

(ز) في الرفق: "ان الله رفيق يحب الرفق في الامر كله".

(ح) في الرياء والسمعة والإخلاص: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله". "إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".

(ط) في النهي عن المراء والجدل: "من ترك المراء وهو محق بني له بيت في الجنة، ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ربض الجنة". "وما ضل قوم بعد أن هداهم الله الا أوتوا الجدل".

- (ي) في بذاعة اللسان: "ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذيء".
- (ك) في العجب والشح: "ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب كل ذي رأي رأيه".
- (ل) ترك الكلام فيما لا يعينك: "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه".
- (م) ترك فضول الكلام "طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله".
- (ن) وزن الكلمة بميزان الإسلام قبل النطق بها: "ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه الي يوم القيامة وأن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ به ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه الي يوم القيامة".
- (س) في الامانة والوفاء بالعهد: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له" وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم متى تقوم الساعة فقال له: "إذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة. فقال، وكيف إضاعتها قال اذا وسد الأمر لغير أهله فانتظر الساعة".
- (ع) في الصدق والكذب "عليكم بالصدق فان الصدق يهدي الي البر وان البر يهدي الي الجنة وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فان الكذب يهدي الي الفجور وان الفجور يهدي الي النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".
- (ف) في القوة والعزيمة: "المؤمن القوي خير وأحب الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وان أصابك شيء فلا تقل لو اني فعلت كذا لكان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان".
- (ص) المتابعة في الخير لا في الشر: "لا يكن احدكم امعة، يقول: انا مع الناس ان أحسن الناس أحسنت وان أسأؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن احسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأؤوا أن تتجنبوا إساءتهم".
- (ش) الحزم واليقظة: "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين".
- (ض) النهي عن الذل: "لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه...".
- (ط) في التوادد والتراحم والتعاطف: "مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى

الفصل الثاني

أخلاق النبي - صلى الله عليه وسلم

كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً وأكرمهم وأتقاهم، عن أنس رضي الله عنه قال ' كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً' -

(الحديث رواه الشيخان وأبو داود والترمذي)

وعن صفية بنت حيي رضي الله عنها قالت: ما رأيت أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم) - رواه الطبراني في الأوسط بإسناد حسن.

قال تعالى: مادحاً وواصفاً خلق نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم { وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ }

[القلم ٤]

قالت عائشة لما سئلت رضي الله عنها عن خلق النبي عليه الصلاة والسلام، قالت: (كان خلقه القرآن) صحيح مسلم.

فهذه الكلمة العظيمة من عائشة رضي الله عنها ترشدنا إلى أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام هي اتباع القرآن، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونواهي، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها والبعد عن كل خلق ذمه القرآن. قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: ومعنى هذا أنه صلى الله عليه وسلم صار امتثال القرآن أمراً ونهياً سجيةً له وخلقاً.... فمهما أمره القرآن فعله ومهما نهاه عنه تركه، هذا ما جبله الله عليه من الخلق العظيم من الحياء والكرم والشجاعة والصفح والحلم وكل خلق جميل. اهـ. عن عطاء رضي الله عنه قال: قلت لعبد الله بن عمرو أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل والله إنه لموصوف في التوراة بصفته في القرآن: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً وَحُرْزاً لِلْأُمِّيِّينَ، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمِيَّتْكَ الْمَتَوَكَّلُ، لَا فَظَ وَلَا غَلِيظَ وَلَا صَخَابَ فِي الْأَسْوَاقِ وَلَا يَدْفَعُ بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ وَلَكِنْ يَغْفُو وَيَغْفِرُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّىٰ يَقِيمَ بِهِ الْمَلَّةَ الْعَوْجَاءَ، بَأَنْ يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهَا أَعْيُنًا عَمِيًّا وَأَذَانًا صَمًّا وَقُلُوبًا غَلْفًا) رواه البخاري.

ما المقصود بحسن الخلق؟

حدثني محمد بن حاتم بن ميمون حدثنا بن مهدي عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفيير عن أبيه عن النواس بن سمعان الأنصاري قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البر والإثم فقال البر حسن الخلق والإثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطلع عليه الناس . رواه مسلم

قال الشيخ ابن عثيمين في شرح الحديث السابع والعشرون في الأربعين النووية: حسن الخلق أي حسن الخلق مع الله، وحسن الخلق مع عباد الله، فأما حسن الخلق مع الله فإن

تتلقى أحكامه الشرعية بالرضا والتسليم، وأن لا يكون في نفسك حرج منها ولا تضيق بها ذرعاً، فإذا أمرك الله بالصلاة والزكاة والصيام وغيرها فإنك تقابل هذا بصدر منشرح. أما حسن الخلق مع الناس فقد سبق أنه: كف الأذى والصبر على الأذى، وطلاقة الوجه وغيره. (زاد المعاد في شرح الأربعين النووية)

على الرغم من حُسن خلقه حيث كان يدعو الله بأن يحسن أخلاقه ويتعوذ من سوء الأخلاق عليه الصلاة والسلام.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان صلى الله عليه وسلم يقول اللهم كما أحسنت خلقي فأحسن خلقي) رواه أحمد ورواته ثقات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال كان صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: ((اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق)) رواه أبو داود والنسائي.

١- الأخلاق في قول النبي صلى الله عليه وسلم

وقد روي عن النبي (ص) أنه قال :

حُسْنُ الخُلُقِ وَحُسْنُ الجِوارِ يَعْمَرانِ الدِيارِ وَيَزِيدانِ في الأعمارِ
وقال النبي (ص):

إنَّ اللهَ اختارَ لكم الإسلامَ ديناً فأكرمواهُ بحسَنِ الخُلُقِ والسَّخاءِ فإنَّهُ لا يكملُ إلا بهما
وقال (ص) :

أحبكم إليَّ أحسنكم أخلاقاً الموطنون أكتافاً الذين يألفون ويؤلفون.

وروي عن جابر بن عبد الله عن النبي (ص) أنه قال:

أشهر الناس ذو الوجهين الذي لا يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه
وقال عليه السلام :

لا ينبغي أن يكون لدى الوجهين وجه عند الله تعالى

وقد روي عن النبي (ص) أنه قال:

لولا أن الله تعالى ذلّ بني آدم بثلاث ما طأطأ لشيء:

الفقر والمرض والموت

ومنها الموت فقد يتغير به الخلق إما أنفة من ذل الإستكانة، أو أسفاً على ما فات من الغنى.

ولذلك قال النبي (ص) :

كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر.

وهاهنا سبب خاص يحدث سوء خلق خاص، وهو البغض الذي تنفر منه النفس فتحدث نفوراً على البغض سيؤول إلى سوء خلقٍ يخصّه دون غيره فإذا كان سوء الخلق حادثاً بسببٍ كان زواله مقروناً بزوال ذلك السبب

قال النبي (ص) :

خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق

قال الله تعالى لنبيه :

وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ

وقال النبي (ص) :

إنكم لم تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم

٢- الاخلاق في فعل النبي صلى الله عليه وسلم

" حديث الغزاة " (البداية والنهاية ، ج ٣ : ٦٤١)

قال الحافظ أبو نعيم الأصبهاني - رحمه الله - في كتابه (دلائل النبوة) : حدثنا أبو أحمد بن احمد الغطريفي - من أصله - ، حدثنا أحمد بن موسى بن أنس بن نصر بن عبيد بن محمد بن سيرين بالبصرة ، حدثنا زكريا بن يحيى ابن خالد ، حدثنا حبان بن أغلب بن تميم ، حدثنا أبي ، عن هشام بن حبان عن الحسن ، عن ضبة بن محصن ، عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حَجْرٍ (1) من الارض إذا هاتف غير بعيد ، يا رسول الله ، يا رسول الله ، قال : فالتفت فلم أر أحداً ، قال : فمشيت غير بعيد ، فإذا الهاتف : يا رسول ، يا رسول الله، قال : فالتفت فلم أر أحداً ، وإذا لهاتف يهتف بي ، فاتبعت الصوت وهجمت على ظبية مشدودة في وثاق ، وإذا أعرابي مُجدل في شملة نائم في الشمس ، فقالت الظبية : يا رسول الله ، إن هذا الأعرابي صادني قبل ، ولى خشقان في هذا الجبل ، فإن رأيت أن تطلقني حتى أضعهما ، ثم أعود إلى وثاقي ؟ قال : وتفعلين ؟ قالت : عذبنى الله عذاب العشار (2) إن لم أفعل ، فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمضت فأرضعت الخشقين وجاءت ، قال : فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثقها إذا انتبه الأعرابي ، فقال : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، إنى أصبته قبيلاً فك فيهما من حاجة ؟ قال : قلت : نعم ، قال : هي لك ، فأطلقها ، فخرجت تعدو في الصحراء فرحا وهي تضرب برجليها في الأرض ، وتقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله .

٣- خصال الأخلاق النبوية

(أولها) الصدق.

(ثانيها) الصبر.

¹ حجر بالفتح : نقا الرمل ، وفي نسخة : في الصحراء .
² - العشار : هو من يأخذ عشر الأموال ، وفي الحديث : إذا لقيتم عاشراً فاقتلوه

(ثالثها) المروءة.

(رابعها) الحياء.

(خامسها) حُسن الخلق.

(سادسها) التواضع.

(سابعها) اليقين.

(ثامنها) الحب في الله والبغض في الله.

(تاسعها) بر الإخوان.

(عاشرها) التقوى الجامعة لكمال الأوصاف الحاوية لمكارم الأخلاق

وأما الخصال العشر التي يجب رفضها واجتنابها فهي:

(الأولى) الحسد.

(الثانية) البغي.

(الثالثة) الغضب.

(الرابعة) التكبر.

(الخامسة) العجب.

(السادسة) البخل.

(السابعة) الفحش.

(الثامنة) المكر.

(التاسعة) النميمة.

(العاشر) كُفران النعم.

وعن النبي (ص) أنه قال:

ثلاثٌ مُهلكاتٌ وثلاثٌ منجياتٌ .

فأما المهلكات:

فشحٌ مطاع - وهوى متَّبِع - وإعجاب المرء بنفسه.

وأما المنجيات فهي:

تقوى الله في السر والعلانية - والقصد في الغنى والفقر - والعدل في الرضى والغضب.

فيجمع عليه السلام مكارم الأخلاق ومساوئها في ستة كلمات وهذه الستة هي معنى الآية من

قوله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ

وعن بعض الأئمة رضي الله عنه:

إن مكارم الأخلاق عشرة:

صدق الحديث.

وصدق اللسان.

وأداء الأمانة.

وصلة الرحم.

والمكافأة بالصنيع.

وبذل المعروف.

وحفظ الذمام للجار.

وحفظ الذمام للصاحب.

وقرى الضيف.

ورأسهن الحياء

٤- الترابط بين الأخلاق والايمان

وما تتبع قارئ للقرآن الكريم والسيرة النبوية إلا وجد فيهما عناصر التفوق ووسائل النجاح من خلال الكثير من المواقف التربوية الراقية التي هي القدوة الحسنة لكل راغب في الوصول إلى الحق.

وعن طريق هذا المنهج ينشأ الإنسان الصالح ومن ثم المجتمع الإسلامي الكريم. وهنا نماذج وصور من ((المنهج التربوي النبوي))، نقرها للقارئ الكريم تذكيراً وترغيباً في هذا المنهج المتكامل الذي أرسل الله به نبيه للناس كافة: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ} الأنبياء: (107)

وكم نحن بحاجة للوقوف أمام هذه المعالم النبوية وتمثلها في حياتنا وسلوكنا؛ إذ هي السر في تميز الرعيل الأول رضي الله عنهم أجمعين.

1- الصبر وطول النفس:

يسهل على الإنسان أن يتعامل مع الآلة الصماء، ويستطيع الباحث أن يصبر ويكافح في دراسة هذه الظاهرة المادية أو تلك، لكن التعامل مع الإنسان له شأن آخر وبعد آخر؛ ذلك أن الناس بشر، لا يحكم تصرفاتهم ومواقفهم قانون مطرد؛ فتراه تارة هنا وتارة هناك، تارة يرضى وتارة يسخط..

ولهذا أجمع المختصون بأن (الظاهرة الإنسانية ظاهرة معقدة)، وأن البحث فيها تكتفه صعوبات عدة؛ فكيف بالتعامل المباشر مع الإنسان والسعي لتقويمه وتوجيه سلوكه؟ ومن يتأمل سيرة النبي -صلى الله عليه وسلم- يرى كيف صبر وعانى حتى ربي هذا الجيل المبارك؟ وكم فترة من الزمن قضاها؟ وكم هي المواقف التي واجهها؟ ومع ذلك صبر واحتسب، وكان طويل النفس بعيد النظر، صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. إن البشر مهما علا شأنهم فلن يصلوا إلى درجة العصمة، وهل هناك من هو أعلى شأنًا من أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- إلا الأنبياء..

فها هم ينزل فيهم في (بدر): ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
(الأنفال: ٦٨)

وفي (أحد): ﴿مَنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]
وفي (حنين): ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ (التوبة: ٢٥)

وحين قسم غنائم حنين، وجد بعض أصحابه في نفوسهم ما وجدوا .
وكان يخطب فجاءت عير، فتبعها الناس، فنزل فيهم قرآن يتلى.
ومع ذلك يبقى هذا الجيل وهذا المجتمع هو القمة، وهو المثل الأعلى للناس في هذه الدنيا،
ولن تكون هذه المواقف سبباً للحط من شأنهم ومكانتهم رضوان الله عليهم.
لكن كيف بمن دونهم؟! بل لا يسوغ أن يقارن بهم.
إن ذلك يفرض على المرابي أن يكون:
طويل النفس، صابراً، عالي الهمة، متفانلاً.

٢ - الخطاب الخاص:

فكما كان يوجه الخطاب لعامة أصحابه، فقد كان يعتني بالخطاب الخاص لفئات خاصة
من أصحابه.

فقد كان من هديه صلى الله عليه وسلم حين يصلي العيد أن يتجه إلى النساء ويخطب
فيهن، كما روى ذلك ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج النبي صلى الله عليه وسلم يوم
عيد فصلى ركعتين لم يصل قبل ولا بعد، ثم مال على النساء ومعه بلال فوعظهن وأمرهن أن
يتصدقن، فجعلت المرأة تلقي القلب والخرص.

بل تجاوز الأمر مجرد استثمار اللقاءات العابرة؛ فعن أبي سعيد الخدري رضي الله
عنه أن النساء قلن لرسول الله صلى الله عليه وسلم: غلبنا عليك الرجال؛ فاجعل لنا يوماً من
نفسك.. فواعدن يوماً، فلقين فيه فوعظهن وأمرهن، فكان مما قال: «ما منكن من امرأة
تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار» فقالت امرأة: «واتنين». «واتنين»
وقد يكون الخصوص لقوم أو فئة دون غيرهم، كما فعل في غزوة حنين حين دعا الأنصار،
وأكد ألا يأتي غيرهم، وكما بايع بعض أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئاً.

٣ - الاختيار والاصطفاء:

إن التربية كما أنها موجهة لكل أفراد الأمة أجمع مهما كان شأنهم، والدين خطاب
للجميع صغاراً وكباراً، رجالاً ونساءً.. إلا أن الدعوة تحتاج لمن يحملها ولمن يقوم بأعبائها،
إنها تحتاج لفئة خاصة تختار بعناية وتربى بعناية.
لذا كان هذا الأمر بارزاً في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وتربيته لأصحابه؛ فثمة مواقف
عدة في السيرة يتكرر فيها ذكر كبار أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعلى رأسهم أبو بكر
وعمر؛ مما يوحي أن هؤلاء كانوا يتلقون إعداداً وتربيةً أخص من غيرهم.
- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إني لواقف في قوم فدعوا الله لعمر بن الخطاب وقد
وضع على سريره؛ إذا رجل من خلفي قد وضع مرفقه على منكبي يقول: رحمك الله إن كنت
لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبك لأني كثيراً ما كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول: «كنت وأبو بكر وعمر، وفعلت وأبو بكر وعمر، وانطلقت وأبو بكر وعمر» فإن كنت
لأرجو أن يجعلك الله معهما؛ فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب.

-ومنها قصة أبي هريرة حين كان بواب النبي صلى الله عليه وسلم، فاستأذن أبو بكر، فقال: «أذن له ويشره بالجنة»، ثم استأذن عمر، ثم عثمان.

وما رواه أنس بن مالك رضي الله عنه حدثهم أن النبي صلى الله عليه وسلم صعد أهدأ وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال: «أثبت أهدأ؛ فإنما عليك نبي -صلى الله عليه وسلم-، وصديق، وشهيدان.»

ومثله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير فتحركت الصخرة، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «أهدأ؛ فما عليك إلا نبي، أو صديق، أو شهيد.»

ويحكي لنا أحد أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن توجيه خاص بهم، حين بايعهم على أمر لم يعتد أن يبايع عليه سائر الناس:

وعن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة، أو ثمانية، أو سبعة، فقال: «ألا تبايعون رسول الله؟» وكنا حديثي عهد بببيعة، فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟» قال: فبسطنا أيدينا، وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله؛ فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، والصلوات الخمس، وتطيعوا، (وأسر كلمة خفية) ولا تسألوا الناس شيئاً»، فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم؛ فما يسأل أحداً يناوله إياه.

وهذا الأمر لم يكن عاماً لأصحابه رضوان الله عليهم، بل خاصاً بهؤلاء، فقد كان بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يسألونه ويعطيهم، ولم يكن يمنهم أو ينهاهم عن السؤال. ومن ذلك أنه كان لا يأذن بالسؤال لخاصة أصحابه كما يأذن لغيرهم: -كما روى نواس بن سمعان رضي الله عنه قال أقمت مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة إلا المسألة، كان أحدنا إذا هاجر لم يسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن شيء..

قال: فسألته عن البر والإثم، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «البر حسن الخلق، والإثم ما حاك في نفسك وكرهت أن يطلع عليه الناس.»

٤ - التدرج :

إن الجوانب التي تتطلب التربية والإصلاح في النفس البشرية من الاتساع والتعدد والتنوع ما يجعل تحصيلها في وقت وجهد أمراً عسيراً ومتعذراً. لذا فإن التدرج كان معلماً مهماً من معالم التربية النبوية:

فخوطف الناس ابتداءً بالاعتقاد والتوحيد، ثم أمروا بالفرائض، ثم سائر الأوامر. وفي الجهاد أمروا بكف اليد، ثم بقتال من قاتلهم، ثم بقتال من يلونهم من الكفار، ثم بقتال الناس كافة.

ومثل ذلك التدرج في تحريم الخمر، وإباحة نكاح المتعة ثم تحريمه، وهكذا. لكن يبقى جانب مهم مع الإيمان بمبدأ التدرج.. ألا وهو أن ما نص الشرع على تحريمه لا يجوز أن نبيحه للناس وما نص على وجوبه لا يجوز أن نسقطه عن الناس.

٥ - تربية القادة لا العبيد :

ثمة سؤال يفرض نفسه ويقفز إلى أذهاننا :

هل نحن نعنى بتعليم الناس وتهيئتهم ليكونوا أهل علم يستنبطون، ويبدعون، ويبتكرون؟ أم أننا نربيهم على تلقي أقوال أساتذتهم بالتسليم دون مراجعة، وربما دون فهم لمضمون القول؟

هل نرى أن من أهدافنا في التعليم أن نربي ملكة التفكير والإبداع لدى طلابنا، وأن نعوّدهم على استنباط الأحكام الشرعية من النصوص، وعلى الجمع بين ما يبدو متعارضاً؟ وهل من أهدافنا تربيتهم على تنزيل الأحكام الشرعية على الوقائع التي يرونها؟ إن المتأمل في واقع التعليم الذي نقدمه لأبنائنا ليلحظ أننا كثيراً ما نستطرد في السرد العلمي المجرد، ونشعر بارتياح أكثر حين نقدم للطالب كماً هائلاً من المعلومات! وهو الآخر - لما غرسنا لديه - يقيس مدى النجاح والإنجاز بقدر ما يسطره مما يسمعه من أستاذه، والتقويم والامتحان إنما هو على أساس ما حفظه الطالب من معلومات، واستطاع استدعاء ذلك وتذكره.

وشيء من ذلك حق ولا شك؛ لكن توجيه الجهد لهذا النوع وهذا النمط من التعليم لا يعدو أن يخرج جيلاً يحفظ المسائل والمعارف ثم ينساها بعد ذلك أو يكون ظلاً لأستاذه وشيخه. ولأن تعلم الجائع صيد السمك خير من أن تعطيه ألف سمكة. وقل مثل ذلك في الأعمال الدعوية التي نقوم بها!! فهل نحن نربي الناس على أن يكونوا عاملين مبدعين مشاركين؟ أم نربيهم على مجرد الاتباع والتقليد لما عليه كبارؤهم؟

أما النبي -صلى الله عليه وسلم- فكانت تربيته لأصحابه لوناً آخر؛ ففي تربيته العلمية لهم خرّج علماء وفقهاء، ولم يكن يقتصر على مجرد إعطاء معلومات مجردة. وكشف الواقع آثار هذه التربية النبوية :

ففي ميدان العلم واجهت أصحابه قضايا طارئة مستجدة؛ لكنهم لم يقفوا أمامها حيارى، فاستثمروا نتاج التربية العلمية التي تلقوها، ولذا اجتهدوا في اتخاذ السجون، وجمع القرآن، وجلد الشارب، والخراج وغيرها.

وفي ميدان الجهاد وإدارة الدولة والدعوة قضوا في شهور على المرتدين بعد أن حسموا الموقف الشرعي من قضية الردة، ثم اتسعت الدولة ووطئت أقدام أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بلاد المشرق حتى وصلوا أذربيجان وما وراء النهر، وبلاد المغرب حتى وصلوا غرب أفريقيا، ودفن منهم من دفن تحت أسوار القسطنطينية. ولو تربى أولئك على غير هذه التربية لما صنعوا ما صنعوا. فأين المربون اليوم الذين يترك أحدهم الفراغ حين يمضي؟ أين هم من هذه التربية النبوية؟

٦ - التوجيه الفردي والجماعي :

لقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يجمع بين التربية والتوجيه الفردي من خلال الخطاب الشخصي المباشر، وبين التربية والتوجيه الجماعي.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: (علمني رسول الله التشهد كفي بين كفيه).

ومن ذلك ما ورد عن غير واحد من أصحابه: أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك حديث معاذ رضي الله عنه كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار

فقال: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟»..»

وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما زوجة أبوه امرأة فكان يتعاهدها، فتقول له: نعم الرجل لم يكشف لنا كنفاً ولم يظأ لنا فراشاً- تشير إلى اعتزاله- فاشتكاه إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فدعاه فكان معه الحوار الطويل حول الصيام وختم القرآن وقيام الليل.

وقد كان هذا الحوار والتوجيه له شخصياً، بينما نجد أنه في مواقف آخر يوجه توجيهها عاماً، كما في خطبه ولقاءاته وتوجيهاته لعامة اصحابه؛ وهي أشهر من أن تورد وتحصر. وها هنا مأخذ مهم في قصة عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه إذ إن النبي صلى الله عليه وسلم دعاه وناقشه منفرداً به، بينما نجده في موقف آخر شبيه بهذا الموقف يعالج الأمر أمام الناس؛ فحين سأل طائفة عن عبادته وتقالوها وقالوا ما قالوا، صعد المنبر وخطب في الأمر:

عن أنس رضي الله عنه أن نفرًا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم سألوا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن عمله في السر، فقال بعضهم: لا أتزوج النساء، وقال بعضهم: لا أكل اللحم، وقال بعضهم: لا أنام على فراش؛ فحمد الله وأثنى عليه فقال: «ما بال أقوام قالوا كذا وكذا، لكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء؛ فمن رغب عن سنتي فليس مني.»

ومثل ذلك في قصة الذي قال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ، فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال: استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً من الأزد يقال له ابن الأتبية على الصدقة، فلما قدم قال: هذا لكم وهذا أهدي لي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «ما بال العامل تبعثه فيأتي يقول: هذا لك، وهذا لي؛ فهلاً جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا؟! والذي نفسي بيده؛ لا يأتي بشيء إلا جاء به يوم القيامة يحمله على رقبتة: إن كان بغير الله رغاء، أو بقرة لها خوار، أو شاة تيعر» ثم رفع يديه حتى رأينا عفرتي إبطيه: «ألا هل بلغت» ثلاثاً. إذن فهناك جوانب يمكن أن تطرح وتناقش بصورة فردية، ولا يسوغ أن تطرح بصفة عامة، ولو مع عدم الإشارة إلى صاحبها؛ لأنها ربما كانت مشكلات فردية لا تعني غير صاحبها، بل قد يكون ضرر إشاعتها أكثر من نفعه.

وهناك جوانب يجب أن تطرح بوضوح وبصورة عامة وتعالج وتناقش أمام الجميع. والمربي الناجح هو الذي يضع كل شيء موضعه.

الفصل الثالث

المضامين التربوية في المنهج النبوي

معالم في المنهج التربوي

إذا أردنا أن نلقي نظرة عامة على أخلاق النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وأن نطل على هذه المكارم من أفق واقعي، فعلينا أن نعود إلى واقعه، وكيف كان يعيش. كيف كان يعامل الناس، كيف كان يحدثهم، كيف كان يتعامل في لحظات الغضب والرضا، كيف كان يعامل العدو والحبيب عند القضاء، وكيف كان يدعو إلى سبيل ربه. كل هذه الأمور، لا بد وأن ينظر الباحث عنها بعين بصيرة وعقل ناقد، قبل أن ينظر إليها بقلب ينبض بحب هذا الرجل.

والباحث في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، حين يتعامل معها بموضوعية تامة، سيجد ما يجعل قلبه يتعلق به وإن كان من مبغضيه. فقد كان صلى الله عليه وسلم يحوز مكارم الأخلاق كلها، وكيف لا وهو الذي أدبه ربه فأحسن تأديبه؟ كان النبي يتمتع بكمال في خلقه لم يبلغه سواه، فقد عصم من كل نقیصة وحاز الكمال من كل فضيلة.

الحوار وقبول الاختلاف مع الآخر:

الحوار والاختلاف مع الآخر، أمر حتمي، تفرضه طبيعة الحياة. وبما أن الحوار عبارة عن علاقة مباشرة بين طرفين أو أكثر، تقوم على التعبير وتبادل الأفكار والحجج والبراهين بهدف التواصل والإقناع أو التأثير، فمن الضروري أن يؤدي هذا الحوار إلى شيء من الاختلاف حول بعض الأمور وطرق تناولها. علاوة على أن هذا الآخر ربما اختلفت بيئته عن بيئتك، وثقافته الاجتماعية عن ثقافتك، مما يستوجب نوعاً من التعايش وقبول الآخر، وقبول الحوار والتعايش معه، طالما أن هذا التعايش لا يمس شؤون العقيدة أو الثوابت الدينية. والنبي صلى الله عليه وسلم بمنهجه الواضح في هذا الشأن، وضع لنا قواعد الحوار ومنهجية الاختلاف مع الآخر، وضرب لنا أروع الأمثلة على التعايش مع الآخر، حتى ولو كان على غير دينه، وحتى لو اختلفت عاداته وتقاليده عن ما نشأ عليه النبي من عادات وتقاليده وأعراف.

واختلاف الرأي حدث على عهد النبي، فتعامل معه النبي بأفق متسع، وذلك حين قال النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة." (رواه البخاري). فخرجوا رضوان الله عليهم من المدينة إلى بني قريظة وحين وقت صلاة العصر، فاختلف الصحابة؛ فمنهم من قال: لا نصلي إلا في بني قريظة ولو غابت الشمس لأن الرسول، صلى الله عليه وسلم، قال: "لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة." فنقول سمعنا وأطعنا. ومنهم من قال إن النبي، عليه الصلاة والسلام، أراد بذلك المبادرة والإسراع إلى الخروج، وإذا حان الوقت، صلينا الصلاة لوقتها. فبلغ ذلك النبي، صلى الله عليه وسلم، ولم يعنف أحداً منهم، ولم يوبخه على ما فهم.

هذه الحادثة من شأنها أن تترك في نفوس ذوي الأبواب أثراً عميقاً نحو قضية قبول الاختلاف مع الآخر عند النبي، وأن الحوار لا بد وأن يكون مفتوحاً، وأن يتعامل معه الناس بعقل متقبل لأطر هذا الاختلاف.

فهاهو النبي لما علم بما حدث، أقر الفريقين على فعله، ولم يعاتب أحداً منهما. والرسول يعلمنا بذلك التعامل مع الهدف بحكمة، وباستقلالية في الوسيلة طالما أنها لا تتعارض مع أحكام الشريعة.

والرسول ينهانا عن التمسك بنوعية الحوار المبني على الرأي مسبقا، لأنه سيكون حوارا عقيما، لا جدوى منه، وذلك في قوله: "إذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك نفسك." (رواه أبو داود).

وهذا الحديث، رغم أنه توجيه لنا بعدم الحوار مع من يعجبون بآرائهم ويرفضون التحوار مع الآخر، إلا أنه في الوقت ذاته، توجيه لنا بعدم التشبث بآرائنا، ما دام هناك مساحة للتفاوض مع الآخر والحوار والنقاش معه.

وإذا كان النبي يعلمنا قبول الاختلاف مع الآخر والحوار معه وعدم الخضوع لأي نوع من التعصب لأفكارنا، فإنه يعلمنا كذلك ما هو أعمق وأشمل. فالأمر لا يقف عند حدود الاختلاف، فالحياة أرحب من ذلك، بل هناك التعايش مع الآخر وقبول أعرافه ما دامت لا تتعارض مع ما يفرضه عليك دينك. ونحن من خلال حديث الأحباش، يمكننا أن نلمس هذا الجانب في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، فهي هو يعلمنا احترام تقاليد وأعراف البيئات الأخرى المحيطة بنا، وعدم الوقوف أمامها ورفضها رفضا تاما، حتى ولو كانت حلالا، لا شيء فيها.

جاء في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها - رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يسترني وأنا أنظر إلى الحبشة وهم يلعبون في المسجد فزجرهم عمر رضي الله عنه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "دعهم، أما بني أرفدة." يعني من الأمن.

هذه الطريقة في اللعب، والتي كان يلعب بها الأحباش تخالف طرق العرب، إلا أن النبي لم ينههم أو يزجرهم، بل تعايش معهم، وتقبل هذا العرف منهم. وتركهم يمارسون ما اعتادوا عليه بمنتهى الحرية، وبصدر رحب، وبقبول لهذا الأمر.

ولقد كان من طبيعة النبي، الانفتاح على الأمم الأخرى، والأخذ منها بما لا يتعارض مع أحكام الشريعة. فلقد وافق على رأي سلمان الفارسي بحفر الخندق في غزوة الخندق، رغم أنها خطة فارسية، لم يعتدها العرب من قبل، ولم يسمعوا عنها.

وربما تعاف نفسك بعض الأمور التي اعتادتها ثقافة معينة، فيرفضها عقلك تماما، وتتعامل معها بنفور، وربما امتد تأثير هذا الأمر عليك، فيجعلك تفرض رأيك على من حولك وترفض الحوار في هذه النقطة تحديدا. ولكن النبي يرفض هذا الأسلوب في التعامل مع مجريات الأحداث من حولك، ويرفض أن تتعامل مع البشر من حولك بفرض ما تقبله نفسك على الآخرين.

لقد كان خالد بن الوليد من محبي أكل الضب، وقدمه ذات يوم للنبي، فلم يأكل النبي، ولم يمنع خالدا من أكله، بل ترك له حرية فعل ما يحلو له في ذلك الأمر، كما أنه تعامل بذوق في هذا الاختلاف حيث بين لخالد أسباب عدم أكله له، حتى لا تأخذ الأفكار بخالد نحو طريق من شأنه أن يجعله يترك ما اعتاد عليه وأحبه.

ورد في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم امتنع عن أكل الضب، فقبل له أحرام هو؟ قال: لا، ولكن لم يكن بأرض قومي فأجذني أعافه. بذلك، نجد أن النبي لم يحرم ثقافة الأفراد والبيئات، وإن كان هو رافضا لها من الناحية النفسية، طالما أنها لا تخالف الدين.

والنبي تعايش مع ثقافات مختلفة ومع نوعيات وعقائد مختلفة بصدر رحب ودون أي محاولة منه للمسّ بهذه الثقافات. ومن أمثلة ذلك، تعايش النبي مع اليهود، حيث عاش النبي معهم منذ قدومه إلى المدينة المنورة بكل سلام، وكان يعاملهم بأخلاقيات الإسلام، فيزور المريض منهم، ويتحمل إساءة الجار اليهودي، ويقوم لجنائز رجل يهودي.

روى الإمام البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرت عليه جنازة يهودي، فقام النبي صلى الله عليه وسلم لها، فقيل له: إنها جنازة يهودي فقال: "أليست نفساً؟" ومنذ بداية وجود النبي في المدينة، ظهر حرصه على عدم عداوة اليهود، بل وقع معهم عهداً جميلاً يدل على رغبة في العيش بسلام مع الطرف الآخر.

محمد نبي الشورى:

"وشاورهم في الأمر" (سورة آل عمران ١٥٩).

توجيه رباني لمحمد؛ نبي آخر الزمان، بأن يعتنق مبدأ الشورى في حياته، وهذا ما كان عليه النبي بالفعل.

رغم مكانة النبي عند ربه ومكانته بين أصحابه، إلا أنه كان يشاور من حوله دوماً في مختلف الأمور. لم يكن يأخذ برأيه فحسب، بل كان يقدم رأي من حوله على رأيه لو اتفقت عليه الأغلبية، ولو كان هذا الرأي لصالح الأمة.

وأوضح دليل على ذلك كلمة النبي المشهورة: "أشيروا عليّ أيها الناس." حين أراد الخروج إلى غزوة بدر، قال المقداد بن عمرو بكلمات خالدة: امض بنا يا رسول الله لما أمرك الله، والله لا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتل إنا هاهنا قاعدون. ولكن نقول: اذهب أنت وربك فقاتل إنا معكما مقاتلون.

فاستبشر النبي خيراً، وتوجه إلى الأنصار يطلب رأيهم، فنطق سعد بن معاذ -رضي الله عنه- بأعظم كلمات، بايع فيها الله ورسوله على التضحية من أجل دين الله. قال سعد: امض بنا يا رسول الله، فوالله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، إنا لصدق في القتال، صبر في الحرب، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك. فزاد فرح النبي واستبشاره، فانطلق بأصحابه ليقاتل أعداء الإسلام في غزوة بدر الكبرى. (تاريخ الطبري).

ومشاهد الشورى في حياة النبي مع من حوله عديدة، منها على سبيل المثال ذلك المشهد الذي دارت أحداثه يوم غزوة بدر، حيث رأى النبي أن يعسكر المسلمون في مكان معين، بينما رأى الحباب (أحد الصحابة) خلاف ذلك، فما كان من النبي القائد إلا أن استجاب لهذا الرأي، لما رأى فيه من مصلحة وخير للجيش.

ولم تكن هذه المواقف هي الوحيدة التي تبين لنا قيمة الشورى في حياة النبي، بل كانت الشورى مبدأ عاماً يسير به النبي في دربه. وكانت الشورى صفة أصيلة من صفات النبي. فعن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: "ما رأيت أحداً أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله." (رواه الترمذي).

فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يستشير صحابته في أسرى بدر، فيقول: إن الله أمكنكم. فقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه: يا رسول الله، اضرب أعناقهم. فأعرض عنه رسول الله. فقال أبوبكر -رضي الله عنه: يا رسول الله نرى أن تعفو عنهم وأن تقبل منهم الفداء. (رواه أحمد).

وإن كان هذا الحديث يحمل من الرحمة معاني رائعة، إلا أنه في الوقت ذاته ينطوى على معانٍ عظيمة تدرج تحت بند الشورى.

وفي غزوة أحد، لم يرد النبي صلى الله عليه وسلم الخروج لقريش خارج المدينة، وأراد التحصن بها، ولكن الشباب من المسلمين أرادوا الخروج لملاقاة قريش، فما كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا ترك رأيه والأخذ برأيهم.

وفي لمحة أخرى من لمحات الشورى، نتعلم أهمية هذا المبدأ من النبي صلى الله عليه وسلم، حين أخذ برأي سلمان الفارسي في غزوة الخندق.

وفي صلح الحديبية، كان النبي قد عزم على الخروج إلى مكة، والصحابة يحلمون بعمره يزورون فيها بيت الله الحرام. فلما علموا بالصلح، حزنوا ورفضوا الاتصياح لأوامر النبي صلى الله عليه وسلم بذبح الهدي والحلق، فأشارت عليه السيدة أم سلمة بأمر أخذ به، وكانت الشورى سببا في نجاة الصحابة من غضب الله عليهم لعصيانهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحين كان الرسول داخل مكة فاتحا لها، أشار عليه عمه العباس بأن يجعل لأبي سفيان مقاما، لحبه للفخر، فاستجاب له وقال: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن. ولقد كان النبي يحث على اتخاذ مبدأ الشورى في كل مناسبة تستدعي ذلك، فكان يقول: "إذا استشار أحدكم أخاه فليشر عليه." (رواه ابن ماجه). وقال صلى الله عليه وسلم: "من استشاره أخوه المسلم، فأشار عليه بغير رشد، فقد خانته." (رواه أحمد).

والشورى التي يحثنا النبي عليها، تتحقق من ورائها أهداف عظيمة، كما علمنا النبي، فهي تعمل على نشر الألفة بين أفراد المجتمع، حين تنتشر فيه الديمقراطية، وبيتعد عن الفردية في اتخاذ القرارات. وهي وسيلة للكشف عن الموهوبين فكريا، ومن بإمكانهم وضع خطط يؤخذ بها في المواقف الطارئة، كما ظهر لنا في غزوتي بدر والخندق، مما يفتح الباب لاستثمار هذه المواهب والطاقات الفكرية، والاستفادة من كل العناصر المتميزة في المجتمع. وحين تكون الشورى أمرا إلهيا وأمرا نبويا، لا بد أن هذا المجتمع (إن تمسك بهذا الأمر وسار على دربه) سيحوز التوفيق والنجاح.

المضامين التربوية في المنهج النبوي

تقدير العلم والعقل عند النبي:

رغم أن نبي هذه الأمة كان أميا، إلا أنه كان أحرص الناس على نشر العلم بين أفراد المجتمع.

وقد كانت أمية النبي صلى الله عليه وسلم، حكمة من الله تعالى، حتى لا يقول المشككون في نبوته من قومه إنه تعلم القراءة، وقرأ كتب الآخرين، ونقلها إلى مجتمعهم الذي كانت تغلب عليه الأمية. فأमितه برهان من الله تعالى على صدقه. فما يكون لرجل أمي أن يؤلف كتابا، إلا أن يكون من عند الله العليم الخبير.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تقديرا لقيمة العلم والعقل. فالعقل والعلم أخوان لا غنى لأحدهما عن الآخر، فهما يقتربان سويا في مسيرة الحياة.

والرسول الذي كانت أول كلمة تسمعها أذنه من القرآن هي كلمة اقرأ، أراد أن يحمل الرسالة التي تلقاها، وينشرها، ويحث على التمسك بها. فهو يريد للأمة الإسلامية أن تكون أمة متعلمة عاقلة واعية، لا تعيش أسيرة قيود الجهل أو الخرافات.

وأحاديث النبي في قيمة العلم، ما أكثرها وما أروعها؛ فهو الذي يقول: "من سلك طريقاً يلتمس به علماً؛ سهل الله به طريقاً إلى الجنة." (أخرجه مسلم).

وكما هو أسلوب النبي في كل ما له قيمة، فإنه يربط فعله بالجنة ونعيمها. فهذا هو بحث المسلمين على سلوك طرق العلم، حتى يكون ذلك عوناً لهم على سلوك طرق الجنة. ويعلمنا النبي أن العالم له فضل، ربما لا يصل إليه سواه، حين يقول: "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرض، حتى النملة في جحرها، وحتى الحوت، ليصلون على معلمي الناس الخير." (رواه الترمذي).

ويقول: "إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء." (رواه أبو داود والترمذي).
يا له من فضل، حين يشعر العالم والباحث عن العلم، بأن كل ما حوله يعيش معه رحلة علمه، فيستغفر له. وحين ينعم بهذا الشعور، لا بد وأنه سيتعمق أكثر في خبايا العلم، ليفيد البشرية، كما علمه نبيه ودينه.

بل نحن نرى النبي يجعل من العلماء ورثة الأنبياء، بسبب علمهم الذي حازوه وتفوقوا فيه، فيقول صلى الله عليه وسلم: "العلماء ورثة الأنبياء." (رواه أبو داود والترمذي).
ورسولنا الكريم لا يريد أن تكون أمته عابدة جاهلة، تعيش في برج عاجي بالعبادة فقط، بعيداً عن العلم، فيلقت أنظار صحابته إلى ذلك، حين يقول: "إن فضل العلم خير من فضل العبادة." (رواه الطبراني).

ويقول النبي في أفضلية العالم على العابد: "فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم." (رواه الترمذي).
ويجعل النبي العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، لا يمكن التهاون فيها، ويتضح ذلك في قوله: "طلب العلم فريضة على كل مسلم." (رواه ابن ماجه).

نعم، وهذه الفريضة لا تقف عند حدود العلم الشرعي، بل تمتد لتشمل جميع أنواع العلوم والمعارف التي يحتاجها المجتمع ولا يكون له غنى عنها، ويعتبر ذلك فرض كفاية، إن لم يقم به بعض الأفراد، أتم المجتمع بأكمله.

النبي يحث على تعليم اللغات:

لقد كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على أن يتعلم المسلمون اللغات المختلفة من أجل التواصل مع الآخر، وفهم الثقافات المختلفة، وكذلك من أجل الحرص على حياة العلم بوجه خاص. ولقد ثبت في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أمر زيد بن ثابت أن يتعلم كتاب اليهود ليقراه على النبي صلى الله عليه وسلم، إذا كتبوا إليه، فتعلمه في خمسة عشر يوماً.

وحين أسر المسلمون عددا من محاربي قريش في غزوة بدر، عرض عليهم النبي حريتهم وفك أسرهم، مقابل أن يعلم كل أسير عشرة من المسلمين. هكذا كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على العلم. فالعلم عنده قبل المال، فهو لم يطلب منهم مالا، بل طلب علما ينتشر خيره بين الناس.

وكان النبي حريصا على تعليم النساء، كما كان حريصا على تعليم الرجال، فها هو يطلب من الشفاء؛ إحدى متقنات الكتابة، أن تعلم حفصة رضي الله عنها. ولما تعلمت حفصة، حرص النبي ألا تقف عند ذلك، بل أن تزيد من علمها، فشجعها على تعلم تجويد الخط. وإذا كان العلم له هذا الشأن في حياة الإنسان، فهو ذو شأن كبير كذلك بعد مماته، وهذا ما أخبرنا به النبي صلى الله عليه وسلم حين قال:

"إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له." (رواه مسلم).

وهكذا كان العلم شغلا شاغلا في حياة النبي، يريد أن يغمر المسلمين والبشرية بنوره.

وإذا كان العلم له هذه القيمة الهائلة عند النبي، فلا بد أن يقترب بعقل واع حكيم. فما قيمة علم بلا عقل راجح؟ لذلك، نجد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان شديد الحرص على تنقية العقول من شوائب الخرافات التي عاشت فيها لسنوات طوال. لقد كان العرب يتشاءمون حين يخرجون لأمر ما، فيرون الطير قد طار شمالا، فيرجعون عن عزمهم ولا يسيرون في قضاء أعمالهم، اعتقادا منهم بأن هذا العمل سيصاحبه أكبر الضرر. فنهاهم النبي عن ذلك بقوله: "لا طيرة ولا هامة ولا صفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد." (متفق عليه).

وقوله صلى الله عليه وسلم "لا طيرة." أي: أي لا تشاؤم بالطير. وقوله صلى الله عليه وسلم: "لا صفر." - بفتح الصاد والفاء - أي لا تشاؤم في شهر صفر، حيث كانوا يتشاءمون بهذا الشهر؛ لقدومه بعد شهر محرم، ويعتقدون أنه تزداد فيه الفتن والحروب. فبين النبي كذب هذه الخرافات، حماية لعقولهم من الانغماس في مستنقع الجهل والخرافات، وأخذا بأيديهم نحو التمتع بعقل واع راشد، يصاحبه علم نافع.

المزاح والترويح عن النفس والآخرين في حياة النبي:

رغم الأعباء الثقيلة والمهام الجسام التي كان رسول الله متحملا لها، إلا أنك ترى وجهه دوماً مشرقاً بالبشر والحبور.

ابتسامه عذبة لا تفارق وجهه المملوء تفاؤلا وسرورا. لم ير قط عابسا ولا متجهما، بل كان دوماً ناشراً لجو المرح والبهجة في المكان الذي يتواجد فيه.

يريد للبشرية أن تغلف حياتها السعادة.. يمزح ويمزح.. يبتسم ويداعب.. يمازح بأدب وذوق.. يعلم ويربي بمزاحه.. يعلمنا كيف نجعل من المزاح وسيلة للتربية تارة ووسيلة لنشر الحب تارة أخرى.

مزاحه يجعلك تتعلق به وتحبه، وتشعر أنك أمام رجل مختلف عن كل البشر. أنى له بهذا الوقت، وهذه القدرة على المرح والمزاح، وهو في ما هو فيه من تحمل لمهام الدعوة ونشر الإسلام؟

يمزح، فيعلمنا فن الترفيه عن النفس ومداعبة الآخرين. ومن الجميل أن الصحابة كانوا يفرحون ويسعدون بالضحك حين يمازحهم النبي!

وهذه الرسالة النبوية يرسلها لنا النبي البسام، أن تمتعوا أيها الناس بالحياة.

تفاءلوا، فالمسلم يتوقع غدا مشرقا بثقته في ربه، وفي أقدار ربه له.

اقتنصوا وقتنا من حياتكم للهو والمرح.

أدخلوا السرور على قلوبكم وقلوب من حولكم.

لماذا هذا التجهم؟ ديننا دين البشر والأمل.

الدنيا حلوة خضرة، تحتاج لأن نتعامل معها بفن وسعادة.

هذا النبي الذي يعلمنا كيف نمتلك أدوات المرح والسعادة، يصفه لنا أنس رضي الله عنه خادم النبي فيقول:

"كان رسول الله من أفكه الناس." (رواه الطبراني في المعجم الأوسط والصغير).

وما يدفع للدهشة حقا ويجعلك تحنى جبينك أمام هذا الرجل العظيم أن مزاحه لم يكن

أجوف بلا مضمون، بل كان يعلم ويربي بمزاحه، ويحل المشاكل، ويؤلف بين القلوب، ويوحد بين الناس، وينشر البهجة بين أصحابه.

لم يكن مزاحه بلا هدف أو قصد، بل كان يترك من وراء مزاحه عبرة

وعظة للناس أجمعين.

ونحن هنا نعرض لبعض هذه المشاهد المرححة في حياة النبي، علنا نرفع الستائر عن

هذا الجزء الجميل في شخصية محمد صلى الله عليه وسلم، الذي يجهله الكثيرون.

مزاحه مع الأطفال:

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمازح الأطفال. وكما نعلم جميعا، فإن الأطفال لهم

نصيب وافر في حياة النبي. لم يكن ينسى نصيبهم منه. يعاملهم وكأنهم جزء لا يتجزأ منه،

يدرك قيمتهم في الحياة فلا يتجاهلهم، بل يعيش معهم لحظات طفولتهم بمرح.

حتى جانب المزاح، لم يهمل النبي الأطفال فيه. وذلك من عظمته صلى الله عليه وسلم،

أن يراعي كل الأمور لكل الفئات.

عن أنس قال: "إن كان النبي صلى الله عليه وسلم ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير: يا أبا عمير ما فعل النغير؟ كان له نغير يلعب به فمات." (متفق عليه).
النغير : طائر يشبه العصفور، أحمر المنقار.

كان يلعب الحسين ويخرج له لسانه، وكأنهما طفلان يلعبان معا.
هذا الأسلوب في التعامل مع الصغار، جاءت به نظريات علم النفس الحديثة، لتؤكد على أهميته، مبينة أهمية التعامل مع الأطفال بأسلوبهم وطريقة تعاطيهم للأمور. فالطفل يحتاج ممن يلعبه أن يلعبه بطريقة الأطفال، لا بأسلوب الكبار.
والمزاح بين البشر له مظاهر شتى، وقليل هم الذين يدركون الطريقة المثلى للمزاح. وهذه القلة، يُعتبر النبي قاندها بحق، فلم يُعرف عنه أنه سخر من أحد في مزاحه معه، أو قلل من قيمته بين أقرانه.

التدرج من العام إلى الخاص:

التدرج من العام إلى الخاص، أسلوب من أساليب النبي في التربية والإرشاد، وهذا الأسلوب أسلوب عصري يسير به العالم في طرق التعليم والتأثير الإيجابي على المتعلمين.
يقول الصحابي الجليل جندب بن عبد الله رضي الله عنه: "كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم ونحن فتيان حزاورة (أي قاربنا البلوغ) فتعلمنا الإيمان قبل أن نتعلم القرآن، ثم تعلمنا القرآن، فازددنا إيماناً." (رواه ابن ماجة).

ومهما كانت الأساليب التي كان يستخدمها النبي في توجيهه وتعليمه، إلا أن هذه الأساليب يغلب عليها دائما طابع الرحمة والرفق، وتخلو من الشدة أو القسوة.
ويتجلى ذلك في قصة معاوية بن الحكم، وقد عطس أمامه رجل في صلاته، فشتمته معاوية وهو يصلي. قال: "فحدقتي القوم بأبصارهم. فقلت: واثكل أمياه ما لكم تنظرون إلي؟ قال: فضرب القوم بأيديهم على أفخاذهم. فلما رأيتهم يسكتونني، سكت. فلما انصرف رسول الله، دعاني (بأبي هو وأمي). ما ضربني ولا كهرني ولا سبني. ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه." (رواه النسائي وأبو داود).

هذه هي الرحمة في التربية والتوجيه، والتي كانت منهاجا للنبي، جعل الرعييل الأول الذي صاحب النبي خير الناس وخير القرون.
وكما يقولون في النظريات الحديثة: إنك إذا أردت أن تقيس مستوى نجاح أي معلم، فانظر إلى ما وصل إليه من تعلم وتربى علي يديه. والصحابة خير دليل على نجاح النبي وتميزه كمرب ومعلم.

تعويد المتربي على المشاركة والعمل:

اعتاد كثير من ناشئة المسلمين اليوم أن يكفى كل شيء!!
فهو في المنزل يقدم له الطعام والشراب، ويتولى أهله تنظيم غرفته وغسل ملابسه.. إلخ،
فساهم ذلك في توليد جيل كسول لا يعرف العمل والمسؤولية.
وفي المدرسة وميادين التعليم اعتاد التلاميذ الكسل الفكري، وصار دورهم مجرد تلقي
المعلومات جاهزة دون أي جهد، وحتى حين يطلب منهم بحث أو مقالة فلا بد أن تحدد لهم
المراجع، وبأرقام الصفحات!!
وقل مثل ذلك في كثير من المحاضرات التربوية.

إننا حين نريد تخريج الجيل الجاد فلا بد من تعويده من البداية على المشاركة وتحمل
المسؤولية: في المنزل بأن يتولى شؤونه الخاصة، وفي المدرسة بأن يبذل جهداً في التعلم.
وعلى القائمين اليوم على المحاضرات التربوية: أن يأخذوا بأيدي تلامذتهم، وأن يسعوا إلى أن
يتجاوزوا في برامجهم التي يقدمونها القوالب الجاهزة، وأن يدركوا أن من حسن تربية الناشئة
أن يمارسوا المسؤولية، وألا يبقوا أكلاء على غيرهم في كل شيء، فينبغي أن يكون لهم دور
ورأي في البرامج التي يتلقونها.

وحيث نعود لسيرة المربي الأول فإننا نرى نماذج من رعاية هذا الجانب؛ فهو يعلم
الناس أن يتحملوا المسؤولية أجمع تجاه مجتمعهم، فليست المسؤولية لفرد أو فردين:
فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مثل المداخن
في حدود الله والواقع فيها مثل قوم استهموا سفينة، فصار بعضهم في أسفلها، وصار بعضهم
في أعلاها، فكان الذي في أسفلها يمرون بالماء على الذين في أعلاها، فتأذوا به، فأخذ فأسأ،
فجعل ينقر أسفل السفينة، فأتوه، فقالوا: ما لك؟ قال: تأذيتم بي، ولا بد لي من الماء، فإن
أخذوا على يديه أنجوه ونجوا أنفسهم، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم.»
ومن ذلك أيضاً استشارته لأصحابه في كثير من المواطن، بل لا تكاد تخلو غزوة أو موقف
مشهور في السيرة من ذلك..

وفي الاستشارة تعويد وتربية، وفيها غرس للثقة، وفيها إشعار لهم بالمسؤولية
ولو عاش أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على خلاف ذلك، أتراهم كانوا سيقفون المواقف
المشهودة في حرب أهل الردة وفتوحات فارس والروم؟
وعلى المستوى الفردي كان النبي صلى الله عليه وسلم يولي أصحابه المهام، من قيادة للجيش
وإمارة ودعوة وقضاء وتعليم..

فأرسل رسله للملوك، وبعث معاذاً إلى اليمن، وأمر أبا بكر على الحج ..
بل كان يؤمّر الشباب مع وجود غيرهم، فأمر أسامة على سرية إلى الحرقات من جهينة، ثم

أمره على جيش يغزو الروم، وولى عثمان بن أبي العاص إمامة قومه...
وهكذا فالسيرة تزخر بهذه المواقف..

فما أجدد الدعاة والمربين اليوم أن يسيروا على المنهج نفسه ليخرج لنا بإذن الله جيل
جاد يحمل المسؤولية ويعطيها قدرها.

مشاركة المربي العملية:

اعتاد بعض المربين أن يكون دورهم قاصراً على (إعطاء الأوامر، ومراقبة التنفيذ)،
وهو مسلك مخالف لمنهج المربي الأول صلى الله عليه وآله وسلم، الذي كان يعيش مع
أصحابه ويشاركهم أعمالهم وهمومهم.

فشاركهم في بناء المسجد: كما روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة فنزل أعلى المدينة في حي يقال لهم: بنو عمرو بن عوف، فأقام
النبي صلى الله عليه وسلم فيهم أربع عشرة ليلة...

وجعلوا ينقلون الصخر وهم يرتجزون والنبي صلى الله عليه وسلم معهم وهو يقول:
«اللهم لا خير إلا خير الآخرة؛ فاغفر للأتباع والمهاجرة.»

وشاركهم في حفر الخندق: فعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه قال: كنا مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق، وهو يحفر ونحن ننقل التراب، ويمر بنا فقال:
«اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة، فاغفر للأتباع والمهاجرة.»

وكان يشاركهم في الفرز للصوت: فعن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله
عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس، ولقد فرز أهل المدينة ليلة فخرجوا نحو الصوت
فاستقبلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقد استبرأ الخبر وهو على فرس لأبي طلحة عري وفي
عنقه السيف وهو يقول: «لم تراعوا! لم تراعوا!»، ثم قال: «وجدناه بحراً، أو قال: إنه لبحر.»

وأما مشاركته لهم في الجهاد: فقد خرج في تسع عشرة غزوة، بل قال عن نفسه:
«ولولا أن أشق على أمتي ما قعدت خلف سرية.»
فهذه المشاركة تدفع للتوازن بين مراقبة القدوة والتسليم لاتباعه وبين التعويد على العمل
والمشاركة، فهذا التوازن - بلا شك - أكرم لهم وأنفع من إلغاء دورهم وتحولهم إلى مجرد
آلات صماء..

إن مجرد إصدار الأوامر والتوجيه أمر يجيده الجميع، لكن الدخول مع الناس في
الميدان ومشاركتهم يرفع قيمة المربي لديهم، ويعلي شأنه، ويشعرون أنه واحد منهم، وذلك
أيضاً يدفعهم لمزيد من البذل والهمة والحماس
عكس أولئك الذين يدعون للعمل، ويربون عن غير قرب، وقد عبر عن هذا المعنى حذاء
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم:

لئن قعدنا والنبوي يعمل لذاك منا العمل المـضلل
ثم إنه يشيع روح الود والإخاء، ويسهم في بناء علاقة إنسانية وطيدة بين المرابي
ومن يريهم .

التربية بالأحداث:

من السهل أن نحدث الناس كثيراً عن معانٍ عدة، وأن ننظر لجوانب متعددة، لكن ذلك
وإن أثر فإن أثره يبقى باهتاً محدوداً.

أما النبي صلى الله عليه وسلم فمع توجيهه لأصحابه في كل موطن، إلا أن تربيته
كانت تتأكد من خلال الأحداث، فكان يضع الناس في الموقع والميدان ويأتي التوجيه حينها..
يشكو إليه الحال أبو بكر رضي الله عنه وهما في الغار، فيقول صلى الله عليه وسلم:
«ما ظنك باثنين الله ثالثهما..»

ويسأله رجل في الميدان والمركة: أ رأيت إن قتلت؟ فيجيبه إجابة تصل إلى شغاف قلبه
فيتقدم حتى يستشهد:

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يوم
أحد: أ رأيت إن قتلت فأين أنا؟ قال: «في الجنة»، فألقى تمرات في يده، ثم قاتل حتى قتل..
ويوصي علياً رضي الله عنه بالدعوة ويذكره بفضلها وذلك حين بعثه داعياً إلى الله
مجاهداً في سبيله :

فعن سهيل بن سعد رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم خيبر:
«لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فبات الناس
ليلتهم أبيهم يعطى، فغدوا كلهم يرجوه، فقال: «أين علي؟» فقبل يشتكى عينيه، فبصق في
عينيه ودعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه فقال: أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال: «انفذ
على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم؛ فوالله لأن
يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم.»
أ ترى أن تلك التوجيهات لو تلقاها أصحابها وهم جالسون قاعدون في بيوتهم ستترك أثرها؟
إن مثل هذه التربية هي التي خرّجت الجيل الجاد العملي، الذي لم يتربّ على مجرد التوجيه
الجاف البارد، إنما كان يعيش العلم والعمل معاً.

(محاضرة للشيخ محمد بن حسين يعقوب)

المنهج النبوي التربوي منهم متكامل (أ.د. فالح بن محمد فالح الصغير)

لم يعرف البشر منذ تاريخ البشرية منهاجاً متكاملًا يفي بحاجات الإنسان والكون كمنهج نبي الله تعالى صلى الله عليه وسلم ، وكل منهاج الدنيا منهاج ناقصة، وفيها خلل كبير، لأن المصدر لها غير متكامل وغير دقيق. أما المنهج النبوي فهو منهج متكامل يتسم بالشمول، والكمال، والواقعية، واليسر والسهولة، والوسطية، والتوازن. أما الشمول فنقصد به، أن المنهج النبوي في التربية يشمل متطلبات الإنسان كلها، فيروي جميع جوانبه: فهو يربي روحه، فأوجب الإسلام تربية الروح على أمور أساسية وفرعية، ومن أهم جوانب هذه التربية الروحية تعميق مفهوم الإيمان، وأركانه الأساسية الستة في نفس الإنسان، ويجعلها منطلقه في هذه الحياة، وتنبثق أمور الحياة كلها من هذه الأركان، فيقيم المسلم حياته كلها عليها من أول يومه إلى آخره، ومن مبدأ تكليفه إلى مفارقتها هذه الحياة، واجب على المربي أن يعمق هذا المفهوم في نفوس الأبناء والبنات، فالمنطلق الأساس التربوية على هذا الإيمان. ويجب أن تقوم وسائل التربية كلها لتوضيح هذا الإيمان، فمثلاً: يقيم علاقته مع ربه - جل وعلا - من مفهوم هذا الإيمان ويقيم علاقته بالخلق، ومعاملته معهم من هذا المفهوم، وكذا تعامله مع عناصر الحياة والكون كله من هذا الإيمان. ولو تصورنا أن فرداً من الأفراد ربي وتربي كذلك، وفرداً آخر ربي على غير ذلك مثل كون الحياة مادة، أو أن العلاقة مع الله - جل وعلا - في جانب من جوانب الحياة فحسب دون الجوانب الأخرى، لا شك ولا ريب أن مساري الشخصيتين مختلفان؛ فالمؤمن يراعي ربه في صلواته وخلواته، الحل ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، يخشى الله ويتقيه، يصلي ويصوم، يحب الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم ، يعطي كالذي حق حقه، ينصح ويوجه .. هكذا.

أما الآخر فبحسب مصالحه الدنيوية التي يتربى عليها، والمفاهيم التي أقام حياته عليها؛ فإذا كانت عنده الحياة مادة، أو لا علاقة بين الدين والحياة، فهذا قد يصلي ويصوم، ولكن يبني جوانب الحياة الأخرى على المصالح المادية، فإن كانت المعاملة تعود عليه بالنفع والفائدة، ضحك وابتسم، وصدق وبش، وأظهر الحرص على هذا المتعامل، وقدم الخدمات لإخوانه المسلمين، أما إذا كانت الأخرى فلا يعرف ولا يُعرف.

إن المنهج النبوي يربي التربية الروحية القوية لتكون منطلقاً لتسيير حياته على الهدى النبوي المتكامل. ومن مواد هذه التربية ومقرراتها: القيام بأركان الإسلام كما أمر الله تعالى ورسوله، والإكثار من نوافلها صلاة وزكاة، وصياماً وحجاً وعمرة، وقراءة لكتاب الله تعالى وذكره ودعاء. أما الجانب الآخر من شمولية التربية النبوية فتربية العقل التربوية المتوازنة التي تنميه، وتشغله في حدود قدراته البشرية، فلا تعطله فيبقى كالبهائم، لا حدود ولا ضوابط، كما قال تعالى عن الكفار:

{إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً(٤٤)} {الفرقان}، ولا يعطى فوق طاقته، فيعجز ويضل، ويديه في المسالك الوعرة، والطرق المظلمة، كما كانت حالة من يدعي تحكيم العقل وتقديمه على النص، فالصحيح ما صحه عقله، والخطأ ما خطأه عقله، فحمل عقله الضعيف ما لا يتحمل. أما التربية النبوية فتربي العقل في حدود الله تعالى، فأكد على العلم، بل أوجب على المسلم مقداراً من العلم لا يصح دينه الابتعلمه.

وحبذ على تربيته من جهة التأمل والتفكر في المخلوقات للدلالة على عظمة الخالق - جل وعلا -، وكذا على اكتشاف ما أودعه الله سبحانه في الكون مما سخر للإنسان ليستفيد منه في مسيرته في هذه الحياة، ولتكون عوناً على إقامة الحضارة الحقة كما أقامها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا حاجة للاستفاضة في الأدلة فالقرآن الكريم مليء بمثل قوله تعالى: {أفلا تتفكرون} {أفلا تعقلون}.. وغيرها كثير. فالمسلم هو الذي يشغل عقله بما يفيد في هذه الجوانب..

الفصل الرابع

علاقة التربية بتحقيق واكتساب الأخلاق

1- وسائل اكتساب الأخلاق

ان تقويم الأخلاق أو اكتسابها يمكن ان يتم بشكل من الأشكال التالية:

أولاً: بتقليل آثارها وعدم المضي في تنفيذ مقتضاها وما تدعو إليه، وهذا بالنسبة للأخلاق التي تعتبر من الغرائز في كل إنسان، ومنها الغضب، يدل على ذلك ما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم أوصني: فقال صلى الله عليه وسلم: "لا تغضب" فردد الرجل سؤاله مراراً، فكان النبي الكريم صلى الله عليه وسلم يقول له: "لا تغضب". وقد قال العلماء في شرح الحديث: أن النهي عن الغضب ينصرف الى النهي عن العمل بمقتضى الغضب أي بلزوم دفع آثار الغضب، وليس النهي راجعاً الى نفس الغضب لأنه من طباع البشر فلا يمكن دفعه ولا استئصاله.. فالمطلوب في تقويم خلق الغضب ليس استئصاله بالكلية فهذا غير ممكن وإنما الممكن السيطرة عليه وكظمه وعدم تنفيذ مقتضاه، يؤيد ذلك ما جاء في القرآن الكريم ﴿وَالكَاطِمِينَ الْغَيْظَ﴾ فمدحهم الله على ضبط غضبهم والسيطرة عليه لا على استئصاله وفي القرآن أيضاً ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ﴾ فمدحهم على عدم تنفيذ مقتضى غضبهم. وفي الحديث الشريف: ليس الشديد بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب".

ثانياً: بالشتذيب والتهديب وإزالة الكدورات عن أصل الخلق، وتوجيهه الوجهة المرضية في الشرع الإسلامي، مثل خلق الشجاعة، يستعمله صاحبه في الاعتداء وقتل الأبرياء، أو لطلب السمعة والجاه، وكالسخاء يستعمله صاحبه للمباهاة وللرياء، فهذه الأخلاق هي في أصلها محمودة وإنما ذمت لاحترافها عن الغرض الصحيح والوجهة المرضية في الشرع، فتقويمها يكون بإزالة هذه الأغراض الخسيسة عنها وبتوجيهها الوجهة الصحيحة بأن تكون الشجاعة لنجدة الضعيف وإغاثة المظلوم وقهر الظالم واعلاء كلمة الله ومحق الكفر والباطل ابتغاء مرضاة الله وحده لا لطلب سمعة ولا رياء ولا جاه ولا ثناء. وكذلك السخاء يوجه الى الوجهة المرضية عند الله بأن يكون في سبيله ولطلب مرضاته، بان ينفق المسلم ماله في أوجه البر مثل اكرام الضيف والجار وكفالة اليتيم وإعانة المحتاج أو اقرضه والقيام على الأرملة والمسكين ونحو ذلك. يدل على ما نقول الأحاديث الشريفة الكثيرة منها: عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل يقاتل شجاعة ويقا تل حمية ويقا تل رياء أي ذلك في سبيل الله؟ فقال: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله"، وفي القرآن الكريم ﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾.

وفي الحديث الشريف: "الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا" لأنهم بهذا الفقه يستعملون صفاتهم وأخلاقهم الجيدة في أصلها استعمالاً صحيحاً، ويوجهونها الوجهة الصحيحة، فيكونون خيار الناس.

ثالثاً: استبدال الخلق الذميمة بالخلق الجيد، كاستبدال الكذب بالصدق والغدر بالوفاء، والظلم والعدوان بالعدل والإنصاف. وهذا الاستبدال ممكن في كثير من الأخلاق، حيث يزول الخلق الذميمة ويحل محله خلق جميل، كما نشاهد ذلك في الشخص الذي يتوب توبة صادقة.

٣ - وسائل تقويم الأخلاق

هناك وسائل كثيرة لتقويم الأخلاق واكتساب الجيد منها والتخلي عن الرديء منها وقد يكون أهم هذه الوسائل ما يأتي:

- ١ - العلم، ونقصد به هنا معرفة أنواع الأخلاق الحسنة التي أمر بها الإسلام، وأنواع الأخلاق الرديئة التي نهى عنها الإسلام. إن هذا العلم ضروري لأنه بدونه لا يدري المسلم بأي خلق يتخلق، ومن أي خلق يتجرد. وقد كفى الإسلام المسلم مؤنة البحث والاستنباط فقد فصل الأخلاق بنوعيتها. وما على المسلم إلا أن يعرض نفسه على الأخلاق بنوعيتها ليعرف موضعها منها، ثم يعمل جاهداً لتكون أخلاقه أخلاقاً إسلامية حقاً.
- ٢ - ولا يكفي أن يعرف أنواع الأخلاق معرفة مجردة، بل يجب أن يعرف المسلم عظيم حاجته إلى الخلق الحسن، لأنه متصل بالإيمان وتقوى الله وسبب للظفر برضوان الله ودخول الجنان، كما يجب أن يعرف عظيم ضرر الخلق السيء عليه لأنه من علامات النفاق وإمارات ضعف الإيمان وسبب سخط الله ودخول النار. إن هذه المعرفة ستدفعه إلى التخلق بالأخلاق الحسنة رغبة في رضوان الله تعالى، كما تدفعه إلى الخلاص من الأخلاق السيئة خوفاً من سخط الله، لأن من رغب في شيء سعى إليه، ومن خاف من شيء هرب منه.
- ٣ - ولا يكفي للمسلم أن يعرف أنواع الأخلاق السيئة ونتائجها، بل عليه أن يستحضر هذه المعرفة في ذهنه لئلا ينساها، فإن آفة العلم النسيان، والنسيان يؤدي إلى إهمال معاني الأخلاق، فيضعف أثرها في النفس، ويصدر عنها ما لا ينبغي من الأفعال، ولهذا كرر القرآن الكريم معاني الأخلاق وبين لنا أنها ما صدر عن أبينا آدم عليه السلام كان من أسبابه النسيان، قال تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾. ولما غضب سيدنا عمر رضي الله عنه عندما قال له رجل أنك لا تقضي بالعدل ولا تقضي بالحق، قال بعض الحاضرين: يا أمير المؤمنين إن الله تعالى يقول: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ وهذا من الجاهلين فقال سيدنا عمر رضي الله عنه:

صدقته، وذهب عنه الغضب. فالتذكر الدائم لمعاني الأخلاق وتذكر الأساس الذي قامت عليه وهو الإيمان بالله تعالى، وان الالتزام بمقتضى الأخلاق من ثمرات الايمان ومن معاني الإسلام، كل هذا يجعل سلوك المسلم في حدود الأخلاق الإسلامية.

٤ - الاهتمام الكامل بتقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس، وعلى رأس هذه المعاني الايمان بالله وباليوم الآخر ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم، والاحساس بالغربة في هذه الدنيا وان المسلم عما قريب سيرحل عنها، وانه سيجازى على أعماله، ومن أعماله أخلاقه، وأن الله تعالى وعد وعد الصدق بالثواب للمتخلفين بأخلاق الإسلام، ووعد بالعقاب لمن رفض أخلاق الإسلام.

إن تقوية معاني العقيدة الإسلامية في النفس يؤدي الى انفتاح النفس وتقبلها لمعاني الأخلاق الإسلامية، لأن هذه الأخلاق موصولة بالإيمان ومعاني التقوى كما قلنا، وهذه الصلة تشتد كلما قوي الإيمان في النفس ورسخت العقيدة فيها، مما يجعل أخلاق المسلم الطيبة ثابتة راسخة لا تزول ولا تضعف لأنها موصولة بالقوي العزيز، وتجد مادة بقائها واستمرارها وصلاحها من هذا الفيض الذي لا ينضب:

الايمان بالله ولوازم هذا الإيمان. فالمسلم، مثلاً، لا يمكن ان يكون ذليلاً أبداً لأنه موصول بالقوي العزيز الذي له العزة جميعاً ﴿قل لله العزة جميعاً﴾ وللمؤمنين المتصلين به نصيب من العزة ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ والمؤمن لا يخاف مخلوقاً ولا يخشاه ومن ثم لا يتملقه ولا يذل له ولا ينافق عنده لأن الأمور كلها بيد الله، ومنها النفع والضر والرزق والحياة والموت ﴿وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وان يردك بخير فلا راد لفضله﴾ وعزة المؤمن لا يقترن بها ذرة من كبر أو طغيان أو جبروت أو خيلاء أو عجب بالنفس، لأن عزة المؤمن قائمة على الايمان بالله، والله وحده له الكبرياء والجبروت، وكل ما سواه فهو فقير مريبوب مقهور، فأنى للفقير المقهور أن يتكبر أو يتجبر على غيره؟

ولهذا لا يكون المسلم إلا متواضعاً لأنه عرف قدر نفسه بعد أن عرف ربه، ومن عرف قدر نفسه لن يتكبر أبداً. ومع العزة والتواضع صبر جميل وثقة كاملة ورجاء لا يشوبه يأس، وطمأنينة لا يخالطها قلق، لأن الإيمان يثمر هذه الأخلاق الفاضلة، قال تعالى: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ ولأن ما هو مقدر فهو كائن، فلا داعي للقلق والاضطراب ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا﴾ ولأن من يتوكل على الله فهو حسبه. والشجاعة والجرأة والإقدام والثبات على الحق ونحو ذلك أخلاق راسخة في المسلم ما دام قلبه معموراً بمعاني الإيمان، لأن إيمانه يعلمه أن الحياة لا تستحق أن يهن فيها المسلم أو يجبن أو يحجم حيث يجب الإقدام، لأن الآجال قد فرغ منها، وأن الموت لا بد أن يلاقه كل حي، قال تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ﴿وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتاباً مؤجلاً﴾. والقناعة وعفة النفس والاستغناء عن الخلق وعمافي أيديهم، ثمرات طبيبات زكيات من ثمار الإيمان، لأن المسلم يؤمن بقول الله تعالى: ﴿قل إن الفضل

بيد الله يؤتية من يشاء والله واسع عليم ﴿ وأن الرزق بيد الله ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴿ .. وهكذا بقية الأخلاق ترسخ وتدوم وتستمر ما دامت قائمة على إيمان عميق يتخلل شغاف القلب وتصبغ به النفس. فتعميق الإيمان في النفس وتقوية معاني العقيدة، وسيلة مهمة جداً للتخلق بالخلق الحسن وللتخلي عن الخلق الرديء.

٥ - مباشرة الأعمال الطيبة التي تساعد أو تؤدي إلى تقويم الأخلاق أو تسهل على النفس قبول الأخلاق الزكية وطرد الخبيثة، فالعلم وحده بدون عمل لا يكفي، قال تعالى: ﴿قد أفلح من زكاهها ﴿ ولم يقل ربنا تبارك وتعالى قد أفلح من تعلم كيفية تزكيتها، فلا بد من تزكية فعلية، بمباشرة الأعمال المحققة لزكاة النفس وتخليصها من أمراض الأخلاق الرذيلة. إن المريض الذي يوصف له العلاج أو يقدم له العلاج فعلاً، ولا يستعمله لن يستفيد منه وإن ظل ينظر اليه ويكرر القول في تركيبه وكيفية صنعه.

٦ - ومن أنواع الأعمال الطيبة النافعة لتقويم الأخلاق، القيام بأنواع العبادات والطاعات المفروضة والمندوبة لأنها تزكي النفس وتسهل عليها اكتساب الأخلاق الطيبة وطرد الأخلاق الخبيثة، فهي لها طهارة وزكاة وقوة ووقاية، وقد أشار القرآن إلى هذه المعاني، قال تعالى في الصلاة: ﴿إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴿ وقال عن الزكاة ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ﴿ تطهرهم من البخل والشح وتصفى نفوسهم من الكدورات والأخلاق الرديئة. والصوم يربي في الإنسان فضيلة الصبر وقوة الإرادة والعزيمة والأخلاق والخلص من الرياء. والحج تربية عملية للروح ورياضة مؤثرة في النفس ووسيلة فعالة لاكتساب كثير من الأخلاق والتخلص من كثير من ذميم الصفات، ففي الحج تربية على الصبر والإخلاص والاستعلاء على شهوات الجسد وإنفاق المال فيما يحبه الله، والتخلص من الكبر والعجب والغرور وتجاوز الإنسان قدر نفسه وغير ذلك مما هو معروف ومذكور في موضعه في كتب الفقه. وهكذا بقية العبادات بدوامها تزكو النفس فتدوم فيها معاني الإيمان والتقوى ومنها الأخلاق الرضية، لأن هذه الأخلاق لا تنبت إلا في النفس الزكية، ولا شيء مثل العبادات بأنواعها المختلفة يزكي النفس ويهيئها لاكتساب الأخلاق الطيبة والتخلص من الأخلاق الرديئة، وفي كتاب الله إشارة إلى هذه المعاني قال تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً إذا مسه الشر جزوعاً وإذا مسه الخير منوعاً إلا المصلين الذين هم علا صلاتهم دائمون والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم ﴿.

٧ - القيام بالأعمال المضادة للأخلاق التي يراد التخلص منها أو المضادة لمقتضاها ويمكن أن نسمي هذا المسلك بمسلك التضاد أو المراغمة للشيطان، لأن الشيطان يفرح لكل خلق رديء ويعمل على بقاءه في النفس ويزينه في عين صاحبه بما يلقيه من مبررات باطلة، فإذا قام الإنسان بعمل يناقض هذا الخلق ولا يتفق وما يقتضيه، كان ذلك بلا شك إغاظة للشيطان ومراغمة له، مما يدعوه إلى الكف عن تزيين هذا الخلق الرديء وعن نفث المبررات الباطلة له، فإذا خنس الشيطان أمكن لهذا العمل أن يززع كيان هذا الخلق الرديء أو يقضي عليه كما يقضي العلاج

الفعال على المرض. ومما يدل على جودة هذا المسلك وأثره في تقويم الأخلاق ما ورد في الحديث أن رجلاً شكاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قلبه، فقال له رسول الله "امسح رأس اليتيم وأطعم المسكين".

ومن أمثلة أعمال التضاد والمراغمة علاج الحسد بأن يبادر الحاسد إلى الاستغفار والدعاء بالخير إلى المحسود فإنه سيشعر بزوال الحسد من قلبه، ومن علاج الكبر جلوس المتكبر مع الفقراء والمساكين والصعاليك والجلوس في آخر المجلس، والقيام بالأعمال التي يعدها الناس حقيرة لا تليق بالمتكبرين مثل حمل الحطب ونحو ذلك.

ومما يمكن اعتباره من أعمال هذه الوسيلة، ما جاء في الحديث الشريف "إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليصطجع. وفي حديث آخر "إذا غضب أحدكم فليتوضأ بالماء، فإنما الغضب من النار، وإنما تطفأ النار بالماء".

٨- مسلك التكلف، فيتكلف الإنسان الأخلاق التي يريد التخلق بها كما لو أراد أن يكون حليماً فإنه يأتي به تكلفاً مراراً حتى تألفه النفس وتعتاده ويصير لها كالطبع وكالسجية. ويؤيد جودة هذا المسلك، ما ورد في الحديث - وان روي بسند ضعيف - "إنما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم". وهذا المسلك يحتاج إلى تكرار ودوام حتى ينتج أثره، وهذا الدوام يستلزم الصبر، فعلى الإنسان الذي يريد التخلق بنوع من الأخلاق الرضية عن طريق التكلف أن يتجمل بالصبر فإنه ضروري له ضرورته للمريض الذي يتناول الدواء المر. فإذا صبر ودوام انقادت النفس وألفت الفعل ثم يصبح الفعل لها لذيذاً، كالذي يريد أن يحسن خطه فإنه بتكرار الكتابة والخط يحسن خطه، ثم يصبح الخط بالنسبة له شيئاً سهلاً ولذيذاً.

٩- مخالطة المؤمنين ذوي الأخلاق الحسنة ومجالستهم والسماع منهم، لأن رؤية الرجل الصالح ذي الخلق الحسن ومجالسته والسماع منه يؤثر في جلسه فيدفعه إلى اقتباس بعض أخلاقه، وقديماً قيل: الطبع يأخذ من الطبع. وقد ورد في الحديث الشريف الذي أخرجه الترمذي عن أبي سعيد أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي" لأن المرء يقتدي بمن يعاشره ويصاحبه ويجالسه فيقتبس منه صفاته. ولهذا كان السلف الصالح يوصون أو يأمرن بهجر أصحاب البدع والمعاصي وذوي الأخلاق الرذيلة.

١٠- اتخاذ القدوة الحسنة، وخير القدوة على الإطلاق رسولنا صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً﴾ فإذا فات المسلم الآن رؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم ببصره فلن تفوته رؤياه ببصيرته باستحضار سيرته العطرة. وشمائله الكريمة وأخلاقه العظيمة، ولذلك نوصي كل مسلم بقراءة سيرته مراراً واستحضار شخصه الكريم في ذهنه، وتصور نفسه في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن القدوة الحسنة أيضاً استحضار سيرة أصحابه الكرام المملوءة بالخير وجليل

الأعمال وكريم الأخلاق لا سيما سيرة الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرة بالجنة وأصحاب بدر وأصحاب بيعة الرضوان وسائر المهاجرين والأنصار.

١١ - ترك البيئة الفاسدة والفرار كما يفر المرء من المكان الموبوء، والتحول إلى البيئة الصالحة التي تضم الجماعة الصالحة من المؤمنين الطيبين فإن هذه البيئة الصالحة تقوي في المؤمن معاني الأخلاق الفاضلة وتقيه من الأخلاق الرديئة، ولا يجوز له التعرض إلى البيئة الفاسدة ذات الناس الفاسدين بحجة أنه متين الأخلاق لا يخشى عليه التأثير بهم أو بها، فإن هذا غرور ووهم ومثاله مثال من يتعرض إلى المكان الموبوء بمرض السل ونحوه بحجة أنه قوي البنية. ونستأنس لهذا الذي نقوله بالحديث الشريف الذي جاء فيه أن رجلاً قتل مائة نفس ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه، فقال: "إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة فقال نعم. ومن يحول بينك وبين التوبة؟ إنطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها ناساً يعبدون الله فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء... الخ

فهذا الحديث يدل على ضرورة التحول من المجتمع الفاسد إلى المجتمع الطيب أو إلى الجماعة الطيبة المؤمنة العابدة، فإن العيش معها والبقاء معها أدعى إلى استقامة الشخص وابتعاده عن السوء.

والبيئة الفاسدة كل ما يعرضك للمعصية وسوء الأخلاق، والبيئة الصالحة كل ما يعينك على طاعة الله وتقواه ومنها حسن الأخلاق.

١٢ - الحرص على صفة جميلة واعتبارها كالجوهرة النفيسة التي يجب صونها وحفظها وعدم التفريط بها، وعدم الاستهانة بكل صفة قيحة وإن بدت بسيطة قليلة الشأن، لأن المسلم لا يستقل أبداً أي خلق حسن ولا يستهين بأي خلق سيء فرب صفة طيبة ترفعه إلى درجات عالية ورب صفة خبيثة تدخله النار، وقد مدح الله تعالى رسوله إسماعيل عليه السلام بصفة صدق الوعد قال تعالى: ﴿وَأذْكَرَ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ...﴾ وفي الحديث "اتقوا النار ولو بشق تمرة" كما أن الصفة الواحدة والمحافظة عليها والدوام عليها تؤدي إلى رسوخها فيه فإن كانت صفة خير كان ذلك خيراً له وإن كانت صفة شر كان ذلك شراً له والخير يؤدي إلى الخير والشر يؤدي إلى الشر، جاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً. وإياكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وما يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً".

١٣ - على المسلم أن يروض نفسه على قبول نصيحة المتدين الكيس الورع الصادق، فإن المؤمن يرى من عيوب غيره ما لا يرى الغير من عيوب نفسه، ومن هنا حسنت صحبة الأخيار، وكان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرءاً أهدى إلي عيوبه. إن الناصح الصادق الذي يدللك على عيوبك وسوء بعض أخلاقك يستحق منك الشكر والتقدير. إنك تشكر من يدللك

على عقرب تدب على جسمك أو تختفي تحت ثيابك وتسارع إلى إلقائها بعيداً عنك، فكذاك يجب أن تفعل نحو من ينصحك ويدلك على عيوب أخلاقك، لأن الأخلاق الرذيلة عقارب ولكنها تؤذي القلب وتفرغ فيه سمومها..

ايمن محمود محمد عبدالفتاح

الخاتمة

ما أجمل العيش مع خلق النبي الكريم صلى الله عليه وسلم. وما أجمل ذلك الشعور الذي يشعر به المرء، وقد خطت يدها طرفا من أخلاق أشرف الخلق أجمعين. وكتب قلمه منافحا عن خير خلق الله صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين.

فلم يكن صلى الله عليه وسلم رحمة للمسلمين أو العرب فقط، بل كان رحمة للعالمين. وضع أسس الأخلاق، ونحا بزمام البشرية نحو فضائل الأخلاق، بفضل القرآن الكريم الذي كان خلقه صلى الله عليه وسلم، وبفضل سنته العطرة، التي لم تكن مجرد أقوال بلغت من الحكمة ما يفوق حكمة البشر، بل كانت أفعالا ومواقف، عاشها صلى الله عليه وسلم في العسر واليسر، في الرضا والغضب، في الفقر والغنى، في الفرح والحزن، وفي النصر والهزيمة، وحين أدبرت عنه الدنيا، وحين كانت تقبل عليه.

وإني قد عرضت في هذا البحث بعض من الجوانب الأخلاقية والتربوية للنبي (ص) هذا، لأدعو المسلمين وغير المسلمين إلى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم، وبحث سيرته الكريمة، ليعثروا على السراج المنير، في ظلمة هذا الليل البهيم، ولكي يكون للتعليم في بلادنا من الكانة والاحترام مقاما كبيرا، وليؤدى التعليم الأهداف التي وضع من أجلها. راجيا من الله تعالى ان اكون وفققت في ذلك .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - السنة النبوية المطهرة
- ٣ - إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، ج ٣ : ص ٤٦ .
- ٤ - زاد المعاد في شرح الأربعين النووية - للشيخ ابن عثيمين
- ٥ - البداية والنهاية - ابن كثير - الطبعة الأولى - المجلد الثالث - العدد ٣٠ : ٦٤١ .
- ٦ - اصول الدعوة - د / عبدالكريم زيدان - موقع الشبكة الدعوية
<http://www.daawa-info.net/index.php?ne=0> -
- ٧ - المنهج النبوي التربوي منهج متكامل - أ.د. فالخ بن محمد فالخ الصغير - الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض
- ٨ - علاقة المربي بالتربية - محاضرة للشيخ محمد بن حسين يعقوب .

حقوق النشر والتوزيع مكفولة للباحث

رقم الايداع

٢٠٠٨/٥٠٠١

دار الكتب المصرية